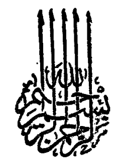
الرسائل الجامعة

قضايا مثارة

تحت ضوء الإسلام

أنور الجندي

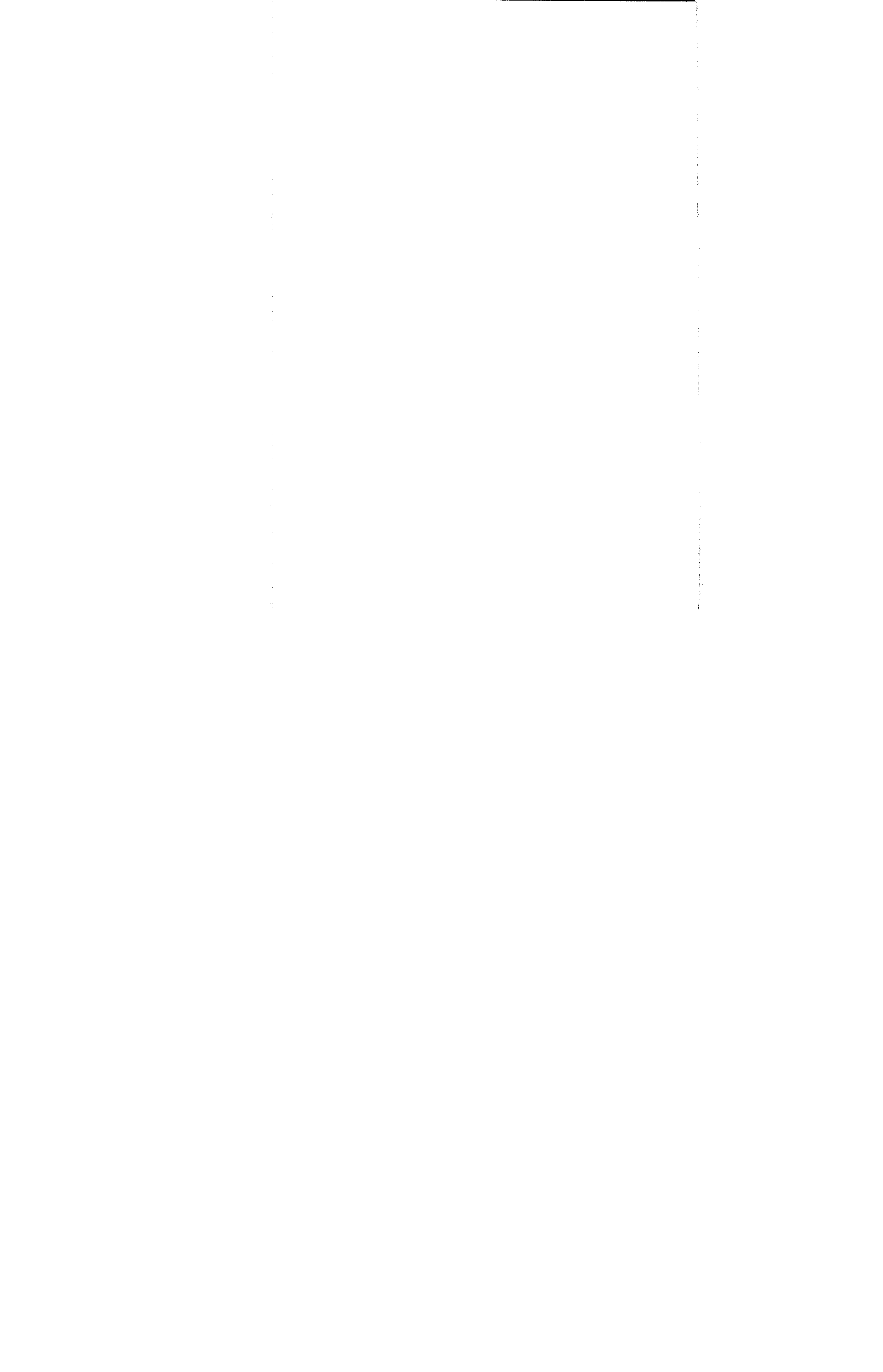
دار الاعتصام



دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازى - تليفون ٢٦٠٣١/٣١٧٤٨ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

لقد كان من حقنا نحن المسلمين حسب توجيه ديننا ان نأخذ من الفكر العالمى كل ما يزيدنا قوة . فقد دعانا الاسلام الى ان نلتمس الحكمة اينما وجدناها ، وان نطلب العلم ولو فى الصين ، والاسلام دين مفتوح على الفكر البشرى لا يرى مانعا من قبـــــول اساليب وتنظيمات ووسائل من أى تجربة أخرى ولكنه حين يقبل لك فانمـــا يقبله بوصفه (مواد خام) يجرى صهرها فى بوتقته دون ان يدع لهذا المنقول أو المقتبس سبيلا الى تغيير طابعها الأصيل : طابعهـــا الربانى . وتقدير هذا القانون ضرورى عندما نواجه الفكر الغـــربى الذى يتقدم الينا على أنه فكر خالص من حقنا أن نأخذ منه وندع ، وانما يزحف فى اطار النفوذ الغربى الذى يحاول أن يغير طابع فكرنا الاسلامى وأن يزيفه وان يصهره فى بوتقة الفكر الغربى باعتباره الفكر العالمى المسيطر الآن (فى تياراته الثلاث الواضحة : الفكر الليبرالى والاشتراكى والماركسى والصهيونى) والتجربة الان فى مواجهة الفكر الوافد مختلفة تماما عن التجربة الاولى التى عاشها المسلمون فى القرن الثانى للهجرة عندما ترجموا بارادتهم الخاصة الفكر اليونانى والفارسى والهندى من أجل البحث عن تراث العلوم،

ثم دخلت التجربة اخطاء جاهد الفكر الاسلامى فى مقاومتها قرنين من الزمان حتى استصفاها فى اطار منهج اهل السنة والجماعة .

ان هناك فوارق عميقة بين الفكر الاسلامى وبين الفكر الغربى، اهمها مفهوم العقيدة نفسه ، فالدين فى الغرب له مفهوم يختلف عن مفهوم الاسلام ، ذلك ان الدين فى مفهوم الغرب هو العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان ، اى أنه ذلك الذى يسمونه (اللاهــوت) أما مفهوم الاسلام فانه يتمثل فى أمرين : فى العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان من ناحية والعلاقة بين الانسان والانسان فردا والمجتمع جملة . ومن هنا فقد اقام الاسلام نظاما شاملا هو منهج حياة ومجتمع ، ومن هنا فقد كانت القضية المثارة بيننا وبين النفــوذ الأجنبى منذ وطأ الاســتعمار بلادنا فى العصر الحــديث هى هذه القضية : هم يريدون أن يفرضوا علينا مفهوما غربيا كنسيا قاصرا على العلاقة بين الله والانسان ، ونحن نؤكد ان الاسلام اقام لنـــا نظاما جامعا فلسنا معه فى حاجة الى اقتباس ايدلوجيات الغرب فى الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة . كذلك فان العلاقات المترتبة بين الأديان المنزلة الثلاثة والتى تســـــتمد أوليتها من دين ابراهيم (الحنيفة السمحاء) هذه العلاقات قد اضطربت نتيجة تفسيرات الاحبار والرهبان وتحولت بمقتضاها هذه الأديان الى أوضاع اقليمية أو عنصرية توقفت عند حدودها ولم تعبر الى الدين الخاتم . وهذه من أخطر عوامل الاختلاف بين الفكرين الغربى والاسلامى فالفكر الغربى (يهودى مسيحى) يستمد من حضارة وثنية يونانية رومانية ويخضع فى كثير من معالمه لمصادر الفلسفة اليونانية والقـــانون الرومانى فلما جاء المنهج التجريبى الاسلامى ودخل اوربا وحولها من الرهبانية الى التجريبية ، لم تلبث أوربا قليلا حتى انحرفت عن مفهوم الاسلام الجامع ، وانحازت الى مفهوم جزئى فانتقلت من ثبات ارسطو الى متغيرات هيجل أما الاسلام فقد وضع منهج الثوابت والمتغيرات التى تحفظ حركة التعبير فى اطار الثوابت حتى لا تضيع

الوجهة المتصلة بالله تبارك وتعالى بدءا ونهاية واليوم تعود أوربا لتنظر ترى انها حطمت الوحدة الأساسية وانحازت الى الاشـــياء المادية فقتلت الجانب الروحى والمعنوى : وبذلك مضت الحضارة على طريق منحرف ونشأت فيها تلك العورات التى تمثلت فى الأزمة والتحلل والقلق والتمزق على النحو الذى ظهر فى تيار الوجودية .

هذه الفوارق بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى بشقيه ، يجب أن تظل من ناحية الفكر الاسلامى قائمة حتى لا ينصهر هذا الفكر فى بوتقته الأممية العالمية التى تمثل مرحلة الصدع الحضارى الخطير.

ولقد حافظ الفكر الاسلامى منذ نشأته الى اليوم على كيانه حتى لا ينصهر ولا يذوب ولا يتماع ، وقد جـــرت المحاولة اثر المحاولة لتدميره ولكنه كان قادرا ببقاء القرآن الكريم والسنة النبوية ، قادرا على صد هذه المحاولات والاحتفاظ بذاتيته الخاصة ، وستظل المعركة الأساسية بين الاسلام والغرب مركزة فى هذه القضية : قضـــــية الذاتية الاسلامية ذات الطابع المتميز الذى يجب ان يحافظ عليهـــا المسلمون ويضحون بكل ما يملكون فى ســـبيل حمايتها ، وما تزال المحاولات تجرى عن طريق التبشير والتغريب والشعوبية والغـــزو الثقافى لضرب هذه الشخصية .

فالفكر الاسلامى قرآنى المصدر ، دخلت عليـــه مفـــاهيم من الفلسفات الوافدة اليونانية وغيرها عندما ترجمت فى العقائد(عقلانية المعتزلة) وفى مفهوم المعرفة والتربية (مفهوم الوجدان والحدس) ثم تحرر المفهوم الاسلامى من ذلك بعد معركة امتدت قرنين كاملين وعاد الى أصالته الجامعة وادخل فى نطاقه كل المفاهيم الايجابية فى التصوف والتشيع وفكر الخوارج والمعتزلة جميعا فانصهرت ، ونفى عنه المفاهيم الزائفة .

* * *

(٢)

ان القول بان الاختلاف بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى ليس الا جزئيات وفرعيات هو قول باطل زائف . ذلك ان اخطر مايختلفان فيه يتمثل فى الأسس الحقيقية التى يتباين فيها فكر عن فكر وهو خلاف عميق الأثر بعيد الأغوار .

أولا : ما يعتقده أهل الفكر الغربى من دعاوى :

(الرهبانية — الصلب — الخطيئة — التثليث) فى المرحلة المسيحية ثم فى المرحلة التالية (الفلسفة المثالية) كانت ابرز الاخطاء هو تأليه الانسان وتغليب كلمة الطبيعة على ارادة الله ، وقبول فكرة التطور التى دعا اليها (دارون) فى فرضية علاقة بين الانسان والقرد أو القول بالتطور المطلق ، والحديث المتصل عن ان الانسان حيوان ناطق ، ثم تأتى المرحلة الثالثة (الفلسفة المادية) وفيها يصل الخلاف الى أبعد حدوده ، فقد قام الفكر الغربى فى هذه المرحلة على انكار الروحيات والمعنويات والقيم الوجدانية ويعتقد انها كلها (افراز مادى) كما أنه يحتقر الانسان ولا يراه الا خاضعا لشهوة الطعام (الماركسية) أو شهوة الجنس (الفرويدية) .

وقد تمزق الفكر الغربى بين الفكر الرأسمالى الليبرالى وبين الفكر الاشتراكى الماركسى فالأول يعلى الفردية والثانى يعلى الجماعية وكلاهما يصدر عن التفسير المادى للتاريخ ويخضع لفلسفة المادية .

وكلاهما يعارض مفهوم الاسلام الذى لا يقر الرهبانية ولا يقر

اعلاء الانسان الى حد تقديس جسده و جماله او ينظر اليه نظـــرة الاحتقار او يصفه بالحيوانية .

والاسلام فى نظرته الى الوجود والحياة والمجتمع يقيم نظرته على أساس « التكامل الجامع » بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة . والانسان كل متكامل وان الجانب العقلى لا يمثل الا جانبا واحدا لا يتحقق التوازن الا بالتقائه مع الجانب الوجدانى .

وعن الاخلاق هى دعامة المجتمع وطابع الحضارة لابد أن يكون اخلاقيا فى أساسه ، وان هناك ارتباطا حقيقيا بين الحضارة وبين النظرة الى الكون وان التماسك بواسطة الاخلاق فى المجتمع هى الاداة الصحيحة لصنع التقدم واول علاماتاضطراب المجتمع وهزيمة الحضارة هى انحراف الاخلاق وغلبة الانحلال والترف والرخاوة .

وان أزمة الانسان المعاصر هى تغليب الجوانب المدية واهمال الجوانب الروحية مما يدمر الشخصـــية الانسانية التى ترغب فى التكامل بين أشواق الروح ومطالب المادة .

وميزة الاسلام انه يجمع بين الزمنى والروحى والمطلق والنسبى واللانهائى والمحدود وخلود الآخرة وفناء الدنيا بين الأرض والسماء ، فالثوابت أساس والمتغيرات تتحرك .

وهـــذا المفهوم يبدو غريبا فى نظر الفكر الغـــربى الانشطارى القائم على المفهوم المادى وحده ، أما الاسلام فهو يجمع الشطرين ويكمل بينهما فالعلاقة ليست علاقة صراع أو تعارض أو تصادم وانما هى علاقة تكامل فان لقاء المتضادين يرسم دائرة التكامل .

ومن هنا فان علينا ان ننظر فى مفاهيم الفـــكر الغربى على ضوء هذا الأساس الاسلامى الاصيل ، وان أى مذهب أو نظرية يجب ان تعرض على أصول فكرنا وصولا الى الاصالة والتماسا للمفهـــوم الكامل الجامع فى مواجهة الانشطارية الغربية ، وعلينا ان نكشف

دائما عن الفوارق الدقيقة والعميقة بين مفاهيم الفكر الاسلامى والفكر الغربى فى مختلف المجالات ، ان مفتاح الخلاف بين الفكرين يتمثل فى تلك الدعائم الاسلامية الأساسية : التوحيد والاخلاق والايمان بالغيب والبعث والجزاء .

لقد عرف الاسلام النظرة القرآنية الجامعة ، التى تقيم البناء الثقافى والحضارى ، والعقلى الوجدانى والتى تجمع بين نظرة الفقهاء التى تهتم بالجوانب التشريعية ، ونظرة المتصوفة التى تهتم بالجوانب الروحية والتربوية ونظرة علماء الكلام التى تهتم بالعقائد ونظرة الاخلاقيين التى تهتم بالفضائل والرزائل ونظرة المؤرخين التى تهتم بالسنين والأحداث ونظرة الأدباء والبلاغين التى تهتم باللغة والأسلوب ونظرة الفلاسفة التى تهتم بما وراء الطبيعة ، هى النظرة الجامعة التى تجعل التخصص فى دائرة التكامل ، هى النظرة القرآنية الجامعة .

ومن خلال نظرة الاسلام نجد ان مفهوم المعرفة الاسلامية قد استوعب طرق وسائل المعرفة : وقد وضع القرآن اساس المعرفة على أساس الكم والكيف ، والمادة والروح والغاية والسبب ، فقد ربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان ، ووضع أهم القواعد التى تحفظ العقل من الزيغ ، وهدم تجاوز الحد ، وان الغيب فوق طاقة العقل وقدرته ، كما دعا الى التقدير والتقرير وعدم التعجل فى الحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ودعا الى التخصص قبل البحث وعدم المكابرة ، والعناء ودعا الى المواجهة والمعاودة والاستمساك بالحق والبعد عن الغرور والجهر بالحق والدفاع عنه .

* * *

انه يلزم لفهم مؤامرة التغريب والغزو الثقافى أن نعود الى نقاط أساسية نبدأ منها :

(أولا : وصية لويس التاسع) فالمعروف انه بعد هزيمة لويس التاسع الذى قاد الحملة الصليبية على مصر وانهزمت فى دمياط بجهود المسلمين الذين حاصروها واغرقوا الدلتا واسروا لويس وسجن فى دار لقمان بالمنصورة ، حتى تدفع عنه فدية قدروها فى هذه الفترة فكر لويس ودبر ووصل الى راى واضح ، هو ان الحرب مع المسلمين لن تحقق شيئا للغرب وان نتائج الحملات الصليبية كانت كلها فشلا الى فشل وانه ينصح بان تبدأ حرب الكلمة بدلا من حرب السيف ، وان يعمل الغرب على اخراج الاسلام من مقرراته وتفريغ المسلمين من مفهومه الاصيل واول ذلك واهمه هو القضاء على مفهوم الاسلام عن الجهاد ومقاومة الغزاة ، وذلك حتى يقبل المسلمون الانصهار فى الفكرة الغربية وقد بدا فعلا على أثر ذلك التخطيط لهذه المؤامرة ، عن طريق تكوين المؤسستين المعروفتين : التبشير والاستشراق ومحاولة تزييف مفهوم الاسلام الاصيل وهكذا وضعت « استراتيجية التغريب » .

(ثانيا) مؤتمر ١٩٠٧ المسمى مؤتمر كامبل بنرمان الذى عقد فى لندن على أثر صدور كتاب البروفسور جيمس (زوال الامبراطورية البريطانية) ولذلك للبحث عن الوسائل التى تعوق نهاية النفوذ

الاستعمارى فى العالم الاسلامى وقد اشتركت فى هذا المؤتمر لجنة من كبـــار علماء التاريخ والاجتماع والاقتصاد تمثل كل الامبراطوريات الاستعمارية ومن أعضائها مؤلف هـــذا الكتب **ولوى ومادين** مؤلف كتاب نشوء وزوال امبراطورية نابليون والبروفسور ليستر ولنسج وغيرهم وقد انتهوا الى ذلك التقرير الذى يعيد الاساس الذى تتوم عليه (استراتيجية الاستعمار) والسيطرة تجاه الوطن العربى هذا التقرير الذى ما زال ضمن الوثائق التى تحافظ بريطانيا على سريتها التامـــة .

وقد اشار هـــذا المؤتمر ان الحضارة الاستعمارية المعـــاصرة ستسقط آجلا أو عاجلا وان الذين يرثون هذه المكانة العالية هوذلك الشعب المتماسك الذى يشغل المنطقة المرتبطة بين آسيا وافريقيا .

وكان السؤال : هل لديكم وسائل وأسباب تحول دون سقوط الحضارة والامبراطورية أو تؤخر مصير الاستعمار الاوربى ، الذى بلغ الذروة ، وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ، وقـــد اشار التقرير الى أن هناك خطرا يهدد هذه الحضارة وهذا النفوذ الاستعمارى يكمن فى البحر المتوسط بالذات باعتباره همزة الوسط بين الشرق والغرب ، هذا الخطر يتركز فى شواطئه الجنوبية والشرقية بصفة خاصة حيث يوجـــــد شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ، ذلك فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية، فماذا يكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل المدنية ومكتشفات الثورة الصناعية الاوربية وانتشر التعليم والثقافة واذا حدث هـــذا فسوف تحل حتما الضربة القاضية بالامبراطوريات القديمة .

وكانت الاجابة هى خلق تيارات اقليمية وقومية ونحل عرفيـــة انعزالية وطرح مذاهب وايدلوجيات متضاربة حتى لا تلتقى هذه الأمة على الوجهة الأصيلة التى صنعها لها الاسلام .

ومن التوصيات العاجلة : اقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر الذى يربط أوربا بالعالم القديم ويرتبط معا بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوربية ومصالحها ، هذا هو التنفيذ العملى العاجل للوسائل والسبل المقترحة .

(ثالثا) الخنجر الذى طعن به المسلمون هو « التعليم » العلمانى الذى فرضته الارساليات التبشيرية ، وفرضه النفوذ الاستعمارى على المدارس الوطنية فى البلاد الاسلامية والذى حرص على اقصاء العقيدة الاسلامية ، والاخلاق وتاريخ الاسلام ، وميراث الدعوة الاسلامية ، واعلاء شأن الغرب واعلامه وبطولاته وانتقاص العرب والقرآن واللغة العربية وكل قيم الفكر الاسلامى وقد كان هذا التعليم المسموم هو المدخل لتشكل الأجيال التابعة للنفوذ الغربى والتى اتيحت لها الفرصة للسيطرة على مقدرات الفكر والتعليم وهى التى فرضت نفوذها فى الصحافة والثقافة على النحو الذى فرغ قلوب الشباب المسلم وعقولهم من المفاهيم الاسلامية ، وتغريب الأجيال فلم ترجع الا قليلا .

(رابعا) جاءت الارساليات التبشيرية بعد سقوط الخلافة الاسلامية ١٩٢٦ وتمزقت البلاد الاسلامية ، ودخل نفوذها الى مختلف البلاد العربية بانشاء المدارس والمستشفيات واستغلت ظروف الفقر والضعف ، وتحولت أساليب هذا العمل التبشيرى واتسع نطاقه فى شرق افريقيا وغربها وجنوب شرق آسيا فى محاولة لالتهام هذه المناطق واحتوائها .

(خامسا) تكشفت فى الثلاثينات من هذا القرن الميلادى مخطط خطير لم يكن معروفا للمسلمين ، ذلك هو « مخطط التغريب » وذلك حين أصدر هاملتون جب وبعض المستشرقين كتابهم المعروف (وجهة الاسلام) عام ١٩٢٩ كشف عن انهم خلال خمسين عاما اى

منذ ١٨٨٠ يعملون على تغريب الاسلام من ناحية فكره وتعليمه وقانونه ايمانا بان العالم الاسلامى سيكون بعد فترة قصيرة لا دينيا فى كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الامور عوامل ليست فى الحسبان ولقد كذبت الأحداث نبوءة المستشرق المتعصب الطامح فى ان يسقط العالم الاسلامى فى براثن العلمانية الغربية أو الأممية الماركسية ولم يكن يدور فى خلدهم ان حركة اليقظة الاسلامية التى كانت وليدة غضة فى ذلك التاريخ ستقف من هذه المحاولة موقفا حاسما وان تدخل هذه المؤامرة بعد قليل فى دور الجزر بعد المد وان تنكشف هذه الخطط امامه فيصمد لها ويقف فى وجهها ومن ثم فقد بدلت هذه المخططات جلدها ، ولكنها ضربت فى سمومها التى نثرتها وتكشف فسادها .

(سادسا) ظهور بروتوكلات حكماء صهيون وقد تأكدت حقيقة نسبتها اليهم فان جانبا كبيرا مما خططه قد تحقق فعلا فقد سقطت الكنيسة الارثوزكسية الروسية وسقطت الخلافة الاسلامية ودخلت أسرائيل القدس وقد استبان ما وراء ذلك مما قام به اليهود فى سبيل تنفيذ مخططهم من تغيير فى دوائر المعارف العالمية ، ومن احتواء المسيحية لتؤمن بخطتهم المضللة ، ومن سيطرتهم على دوائر الفاتيكان ومن انشائهم للماركسية وبنائهم للنظام الشيوعى فى روسيا ، كل هذا كشف أبعاد هذا المخطط .

* * *

واجهت حركة اليقظة الاسلامية هذه المؤامرة الخطيرة ولم تتوقف منذ اليوم الأول عن أن ترفع بيدها (**القرآن الكريم**) داعية الى تحكيمه فى كل الأمور ، وداعية الى العودة اليه فانه هو ملجأ المسلمين اذا ادلهمت بهم الأحداث وتضيقت الطرقوكان ذلك مواجهة حقيقية لذلك المخطط الخطير ، ومن قبل التجأ المسلمون الى هذا القرآن حين تجمعت القوى الصليبية وقوى الفرنجة وحملات التتار حين تلاقت وتآزرت لتضرب الاسلام ضربة قاتلة ، فنجا المسلمون بفضل التماس المنابع (القرآن والسنة) وفى هذه النازلة الخطيرة التى تتآمر فيها قوى النفوذ الغربى والشيوعية والصهيونية ليس هناك غير طريق واحد هو : العودة الى التماس المنابع وقد استطاعوا خلال القرن الرابع عشر الهجرى من الثبات على هذا الطريق وتكاتفت جهودهم فى مقاومة التبشير ومواجهة الاستشراق وكشف زيف النظريات المطروحة والايدلوجيات الوافدة .

وامكن ان تحقق حركة اليقظة الاسلامية ، ثغرات واسعة فى هـذه المناهج المادية وتكشف زيفا كثيرا . وكان أخطـر ذلك فى الايدلوجيتين : الراسمالية اللبرالية ، والاشتراكية الشيوعية وتدتبين فساد النظامين حيث تعقدت الامور واضطربت المجتمعات وارتفعت البطالة واتسع التضخم وتعالت صيحات المطالبة بنظام جديد ، فضلا عن ذلك التنافس الخطير بين الدولتين فى مجال الصواريخ العابرة للقارات والقذائف المهلكة للبشرية وما تعانيه الدول الصغيرة من نقص فى الغذاء فى الوقت الذى تظفر فيه الدول الغربية باضعاف مضاعفة

هذا النظام العالمى المضطرب وهذه الحضارة التى تدخل مرحلة التمزق والانهيار والقلق والتصدع تلفت انظارنا نحن المسلمين الى البديل الذى يتطلع اليه العالم : هذا البديل هو ذلك الدين الحق الذى انزله الحق على البشرية لتسمو وترتفع فوق حيوانيتها وشهواتها ونزواتها ولتقيم المجتمع الربانى السمح الكريم ، وهذا هو ما وصل اليه كثير من مفكرى الغرب اليوم بعد أن نادت به حركة اليقظة الاسلامية منذ قرن من الزمان .

كذلك فقد كشفت معتقدات العصر كثيرا من فساد المناهج البشرية التى قدمها الغرب فى مجال علوم الاجتماع والنفس والعلم التجريبى وانكشف فساد منهج الحضارة وزيف الكتب القديمة وثبات صحة القرآن ومناهج الله الحقة .

كذلك فقد كشفت متغيرات العصر كثيرا من فساد المناهج الانبهار الذى اصابهم نتيجة بريق الحضارة الغربية حين ظنوا انها وسيلة الى بناء مجتمعهم ، فاذا بهم بعد عقود من الزمان يقعون فى الازمات الماحقة ، من نكبة وهزيمة ونكسة كادت تذهب بوجودهم انفسهم وهددت ذاتيتهم الاسلامية وكيانهم العالمى تهديدا شديدا .

واذا كانت التجربة التطبيقية ومتغيرات المجتمات وتطور الحضارات قد كشف عن فساد منهج الغرب فى مجال الاقتصاد ، وفى مجال الاجتماع وفى مجال السياسة فماذا هنالك من نظريات اخرى فى مجال النفس والاخلاق مما كتب فرويد ودور كايم وسارتر مما وجد أصلا مخالفا للفطرة البشرية ، مناقضا للعلم ، مضادا لطبيعة الحياة وقد عرف ما أريد بهذا كله حين تكشفت بروتوكولات صهيون عن ترابط بين فرويد وماركس وترابط بين نيتشه وداروين ، مستهدفين تدمير المجتمع الانسانى كله .

لقد تكشفت الاهداف الحقيقية وراء نظرية داروين والتحليل النفسى والعلوم الاجتماعية، وبين تناقض الكتب المقدسة فى مصادرها

وتواريخها ، وما كشفت عنه الابحاث العلميـــة الحديثة من فساد تقديرات تلك الكتب فى حساب الزمن وخلق الكون وغيرها فضلا عن الخلاف والتناقض بين العهدين القديم والجديد (على النحو الذى كشفه بوكاى) وتبين زيف دعوى ارض الميعاد (على النحو الذى كشفه جارودى) وما كشف عن زيف فـــكرة التطـــور المطلق التى استمدت مفاهيمها من نظرية دارون واضافة سبنسر وما جاء به (هيجل) من دعوة معارضة تماما لما قال به (أرسطو) من الثبات المطلق ، هذا التضاد الخطير الذى كان له اثره البعيد فى اضطراب الحضارة الغربية والمجتمع الغربى الذى انتقل اساسا من الرهبانية المسرفة الى الاباحية التى تعلى شأن الجنس وتتحدث عن ثورة الجسد ، وذلك التمزق الذى قال به ديكارت حين فصل الماديات عن المعنويات ، ومن ثم كان ذلك الاضطراب حول التطور والتطورالمطلق وحول الثوابت والمتغيرات وحل نظرية النسبية عندما جاء بها وتحول مفاهيم الاجتماع الى أمور نسبية ثم كانت فكرة تطور الاخلاق بعدان انكرت الحضارة الغربية ثبات الاخلاق المرتبطة بالدين وعدتها من التقاليد التى يجرى عليها التغيير .

كل هذا كان مصدر هزة شديدة فى الحضارة الغربية وسببا من اسباب تزعزعها واضطرابها وما زال فى حاجة الى وقفة ومراجعة .

كذلك فقد اضطرب الفكر الغربى وتكشف زيفه فيما يتصـــل بمفاهيم العبودية البشرية التى جددها الاستعمار الحديث من تراث العبودية اليونانية الرومانية والتفرقة بين الأجناس والعروق، وأعلاء العنصر الأبيض صاحب الحضارة ، هذا بالاضافة الى مشاعية المال والنساء .

وما هنالك من سقوط غيرة الرجل امام المراة واماء عرضـــها وشغافها ومن ثم تحطمت اخلاق المجتمعات ومسئولية الفرد ، فضلا عن سقوط الرحمة ازاء الآباء والأمهات .

كل هذه المفاهيم الزائفة تكشفت واستطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن تعريها وان تكشف عن زيفها ، وأن يعلن مفاهيم الاسلام وقيمه ودعوته الى التوحيد الخالص ومسئولية الفرد لبناء المجتمع الرباني .

وفي مواجهة هذه التمزقات في مفاهيم الفكر الغربي نجد أن الاسلام يقدم أصلح النظم واصفى المناهج فقد ظل باقيا مدة أربعة عشر قرنا بينما تداعت النظم الرأسمالية والاشتراكية ولم يمض عليها الا القليل ، وقد نجح النظام الاسلامي في مواجهة المتغيرات الاجتماعية قرونا طويلة وأمام دولة ذات سيادة عالية بكفاءة تامة وأثبت صلاحيته في جميع الأحوال ، ولا غرابة في ذلك فانه منزل من رب الخلق والكون العليم بالبشر .

أما النظام الرأسمالي فانه لم يستطع تحمل قيام الثورة الصناعية وأدى ذلك الى الانفجار الشيوعي وكذلك فان الاشتراكية تواجه أزمة ملحوظة أدت الى تعديل ايدلوجيتها وعدول بعض الأحزاب الشيوعية عن أمور أساسية بها ، وقد بانت الثغرات وجرت التعديلات بالاضافة والحذف لان الأنظمة البشرية غير قادرة على مواجهة المتغيرات لارتباطها بالبيئة والعصر بينما النظام الرباني قادر باطرافه الواسعة ومرونته وعالميته على العطاء في كل العصور والبيئات .

والنظام الاسلامي اليوم هو النظام الوحيد الذي يقوم على العدل والاخاء البشري والرحمة لجميع البشر وبذلك يضفي أسباب الظلم والصراع على طول قاعدة العلاقات الانسانية .

* * *

(٥)

ان اخطر ما يتحدى المثقف المسلم هو النظرة الجزئية أو الرؤية المحدودة ، التى تقف عند حادث من الأحداث او خبر من الأخبار أو موقف من المواقف فتنظر اليه وتحاول ان تحلله او تحكم عليه دون ان تبحث فى خلفياته او ابعاده او ارضيته ، ومن هنا تكون تلك النظرة ناقصة أو جزئية او قاتمة ، وليس كذلك يفعل الناصحون الذين رباهم القرآن وعلمهم الاسلام ، وانما تكون النظرة فاحصة ويكون الحكم سليما اذا ما استوفى شرائط التقدير والبحث عما يتصل بالحدث أو الخبر او الموقف مما سبق فى الزمن ومما جرى واوشك أن يغيب وراء الأفق ، ذلك ان الأمور لا تجرى منفصلة عن سوابقها ولواحقها ، خاصة فيما يتعلق بتحديات الغزو الفكرى والتغريب .

ومنذ ظهور الاسلام وكل حدث فوق هذا الكوكب مرتبط به ، فقد غير موازين القوى ، وأثار قدرا كبيرا من حفيظة الطامعين الذين وجدوا ان الاسلام فى سنوات قليلة أحرز هذا القدر من الانتشار والظهور وكسب هذا القدر من معتنقيه ، وما يزال يزحف ويكسب فى كل يوم أرضا جديدة .

ولذلك فقد كانت صناعة الأخبار من عمل التغريب ، وهى تقصد الى حل الروابط واثارة الشبهات وخلق روح اليأس بين المسلمين ولذلك فيجب ان نقف موقف الحذر من كل ما تلقيه علينا هذه المصادر الغربية الوافدة، ننظر اليها ونعرضها على اصول فكرنا

وقاعدة عقيدتنا بتقدير وافر اننا نملك أعظم منهج ، واننا لايمكن ان نؤكل ولا يمكن ان يحتوينا اعداء الاسلام فاننا نملك منهجا لا يعتريه التحريف ، وليس هدفه هذه الفلسفة ولا العقلانية الخالصة ، ولا الجبرية الصوفية ولا الحدس الوجدانى ، فان كل طريق من هذه الطرق جزئى لا يوصل وذلك كله ركام باطل جددته الباطنية والمجوسية والشعوبية واعادت صياغته من جديد لتضرب به مفهوم التوحيد الخالص لقد خدعنا الاستعمار حين دعانا الى مناهجه وهجر مناهجنا حين حجب الشريعة الاسلامية والتربية الاسلامية واللغة العربية ودعانا الى مفاهيمه وخدعنا رجاله ورجال منا أمثال طه حسن وغيره حين قالوا ان اسلوب الغرب هو الأسلوب القادر على اعطاء صفة التقدم ، وكذبوا فان الغرب لم يكن ليسطر على بلادنا ويدعو الى تغريب فكرنا ثم يسمح لنا بأن نصل الى وسائل التقدم وامتلاك الارادة . لقد خدعنا اسلوب الغرب فى الحكم والتربية والاجتماع وجرينا وراء التجربة الى نهايتها ، التى كانت سقوط فلسطين فى يد الصهيونية ثم جرينا وراء التجربة الماركسية حتى كانت نهايتها سقوط القدس فى يد الصهيونية وتعرية المجتمع العربى تعرية كاملة مرورا بالهزيمة والنكبة والنكسة التى توالت منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ انما كانت مصدرها التماس اسلوب الغرب وحجب اسلوب الاسلام .

ان هناك ثلاث قوى لها اثرها البعيد فى ازمة المسلمين :

« التعليم والثقافة والصحافة » وما تزال مؤسسات التبشير والاستشراق تعمل من خلالها وهناك خطة واضحة للغزو الفكرى وخطة للتغريب وخطة للشعوبية . وهناك اساليب متعددة لاثارة الشبهات حول الاسلام : (القرآن — الرسول — تاريخ الاسلام) .

* * *

وهناك دعوة الى اخراج المسلمين من قيمهم باسم التحــرر فيجب الا تخدعنا الاسماء البراقة فنسلم بسكل ما تقول ، آن فى كل ما تقوله زيفا كثيرا وحقا قليلا ، ويجب الا نخاف عبـــارات : الرجعية والجمود والتخلف فانها كلمات فقدت معناها وهى تطلق دائما على اهل الأصالة والحق .

وعلينا الا تخدعنا الأسماء البراقة لأنها ليست اصيلة ولا تصدر عن الأسماء الزائفة لأن الدعوى المدعاة لها ليست صحيحة .

نحن طلاب (أصـــالة) تكون منا بمثابة (الاطـــار الثابت) والحجاب الحاجز نتحرك من داخله الى المعاصرة والتقدم والتحرر .

ان قيمنا القرآنية الاسلامية الربانية هى الأعمدة الثابتة التى يقوم عليها البناء : ثبات فى الأساس وحركة من فوقه أو من حوله ، ثبات (القطب) وحركة كحركة الأرض حول محورها .

ان كل المؤمرات قد اثبتت حقيقة واحدة : ان الاســـلام هو الهدف الذى تعمل القوى الخفية لضربه :

* * *

(الصهيونية والليبرالية والماركسية)

الهدف : هو ان يظل الاسلام بعيدا عن دائرة العمل والتنفيذ والا يمتلك المسلمون ارادتهم القادرة على الانتقـــال من (الدائرة الضيقة) التى حبسهم فيها الغزو الثقافى والتغريب الى (الدائرة المرنة) التى أنشأها لهم الاسلام .

ان هدفنا اليوم هو تحطيم هذه الدائرة الضيقة والتماس دائرتنا ومنهاجنا ومصادرنا ومنابعنا الثرة الخالدة .

والأمل هو ان يعرف المسلمون انه ليس ثمة طريق آخر .

لقد جربوا : مختلف الأساليب والسبل والمناهج التى آوخت بينهم وبين الفكر الغربى والفكر الماركسى : ودخلوا البوتقة وفشلت التجــربة وتأكد لهــم بعد سبعين عاما وهــم تائهون بين الشرق والغرب ، حائرون بين الايدلوجيات الوافدة ــ انه لا سبيل لهم غير منهجهم الأصيل .

لقد عجزت هذه المذاهب والمناهج جميعا أن تعطيهم التقــدم أو التحرر أو أمتلاك الارادة وأعطتهم بدلا من ذلك : الهزيمة والنكسة والنكبة ، وعرضتهم للفناء : ومن ثم تبينوا انه ليس غير الاسلام : سبيل ونصير ونور .

* * *

ان بين أيدينا مجموعة حقائق طازجة يجب أن تكون موضــع نظركم وتقديركم وأنتم بسبيل دراساتكم : (الاستشراق ، التبشير ، التغريب) أولى هذه الحقائق ، ما أعلن من وقت قصير من (الغاء) الاستشراق فقد أجمع المستشرقون فى مؤتمرهم السنوى بعد أكثر من سبعين عاما ليعلنوا انهـم قد ألغوا الاستشراق وأن الاجتماعات القادمة ستكون تحت اسم (مؤتمر العلوم الانسانية) .

ومعنى هذا فى نظر أصحاب اليقظة : ان الاستشراق يغير جلده كما سبق أن غير التبشير جلده ، الهدف واحد والأساليب تتغير مع الأزمان والظروف ، واذا كانت سمعة الاستشراق قد ساءت فان على أهله أن يغيروا أسلوبهم وان لم يغيروا هدفهم .

نحن نذكر الآن كيف يتحـرك « الاستشراق اليهودى » بعد أن تقدم للسيطرة خلفا أو شريكا للاستشراق الغربى المسيحى ، ونعرف المخططات التى يقوم بها فى سبيل (احتواء) الفكر الاسلامى والتاريخ الاسلامى .

ومن ذلك ما نجـده من بروز أسـماء لامعة خطيرة فى مجالاته المتعددة .

جولد زيهر فى الشريعة الاسلامية وهو الذى قال ان القرآن مكى جاف ومدنى مرن بعد لقاء النبى صلى الله عليه وسلم باليهود .

ومرجليوث الذى وضع كتابين فى التاريخ الاسلامى كان لهما خطرهما فى الفكر الاسلامى الحديث كتاب (الخلافة الاسـلامية) الذى ترجمه على عبد الرازق مع اضافات قليلة ، وكتاب (انتحال الشعر الجاهلى) الذى ضمنه طه حسين كتابيه فى الشعر الجاهلى والادب الجاهلى وهما أخطر ما طرح لتزييف الفكر الاسلامى .

وثالثهما : برنارد لويس ، الذى هاجم مفهوم الأمة والقوميات مستهدفا انكار وجود الأمة العربية فى سبيل قيام الدولة اليهودية وايجاد صراع بين العروبة والاسلام .

وعلينا أن نذكر فى هذا المجال ان معظم كراسى الأدب العربى والدراســات الاســلامية فى اغلب جامعــات الغرب يسيطر عليها مستشرقون يهود وتتصل بها محاولات السيطرة على دوائر المعارف العالمية ، وخاصة دائرة المعارف الاسلامية والسموم التى حملتها خاصة مادة (عرب) ومادة (ابراهيم) ومادة (اسماعيل) فى محاولة لتزييف الروابط الأســاسية بين سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وبين سيدنا اسحق وفصل اسماعيل عن ميراث ابراهيم لجعله كله فى نسل اسحق .

وتلك مؤامرة خطيرة فى حاجة الى عناية كبيرة .

وكذلك فان الأمر يتصل بمؤامرات تحريف التاريخ الاسلامى وفى مقدمتها مؤتمر (بليتمور) الذى عقد عام ١٩٤٨ والذى حضره لفيف من قادة الصهيونية وفى مقدمتهم بن جوريون لوضــع خطــة تستهدف تنظيم ومضاعفة عمليات تزييف تاريخ العرب والاســلام واخراج دراسات تحمل الشبهات التى تتصــل بمؤامرة القرامطة والزنج والباطنية واعادة طــرح أقطارها وتاريخهــا فى أفق الفكر الاسلامى بوصفها حركات تهدف الى العدالة الاجتماعية . وقد ظهرت مؤلفاه كثيرة بعد ذلك المؤتمر تحــاول أن تطبق ما أســتهدفته من توصــيات .

ويتصل بهذا مؤتمر البهائية العالمى الذى عقد فى القدس المحتلة عام ١٩٦٨ وما كشف عن صلة جذرية بين تاريخ البهائية كله وبين الصهيونية وفى خدمتها ، كل هذا يجب أن نكون على وعى به حين نقرأ وندرس ونتابع .

* * *

« اليوم انتهت الحروب الصليبية » :

يجب أن يكون أمامنا ونحن نطالع تاريخ الاسلام والمسلمين فى العصر الحديث عدة حقـــائق من شأنها أن تشكل قاعدة أساسية للبحث : هذه الحقائق لا توردها كتب التاريخ التى بين أيدينا الا لماما وربما أوردت ما يخالفها من شبهات ظلت تتردد حتى أصبحت فى منزلة المسلمات . أولى هذه الحقائق ما طرحه غلاد ستاز رئيس وزراء بريطانيا على مجلس العموم البريطانى عام ١٨٨٣ حين حمل المصحف الشريف وأشاح به فى وجه الأعضاء وقال :

(ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلا مل لنـــا فى اخضـــاع المسلمين بل ونحن على خطر فى أوطاننا) .

وعلينا أن نفهم هذا ومداه ، يضـــاف الى هـــذا قول اللورد النبى حين دخل القدس سنة ١٩١٧ (ظنا منهم أنها جولة قد انتهت) حين قال : اليوم انتهت الحروب الصليبية .

فاذا ذكرنا ان الحروب الصليبية التاريخية كانت قد انتهت قبل ثمانمائة عام عرفنا ماذا كان يريد ان يقول اللورد اللنبى متابعة مع خطة لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة حين دعا فى وثيقـــة رسمية معروفة الى بدء حرب الكلمة على المسلمين بعد ان فشـــل حرب السلاح وان ما اشار اليه اللورد اللنبى انما يعنى نجاح هذه الخطة فهذا قول خطير له ابعاده ومداه ولم يدرس بعـــد الدراسة الكافية .

فاذا اضفنا الى هذا خطة بنرمان ١٩٠٧ بوضع حاجز من جنس غريب فى مكان ما بين افريقيا وآسيا وحين تقدم اليهود فقالوا : نحن الحاجز الغريب وكانت فكرة انشاء دولة يهودية فى قلب العـــالم الاسلامى خطة مرتبة ولها اهدافها .

كل هـــذه الخطوط مجتمعة ترسم صورة واضحة وتخلق تحديا وتكشف عن خلفيات لا توردها كثير من كتب التاريخ التى بين أيدينا او التى تدرس فى مدارسنا ولكن هذه التحديات ذات دلالات خطيرة ويجب أن تكون واضحة امامنا ونحن نقرأ وندرس ونستوعب وهى تعطينا فكرة واضحة هى :

أن هناك تعصبا وحقدا وخصومة ورغبة فى الا يستعيد المسلمون حقهم ولا يستكملون ارادتهم .

كذلك يجب أن تكون امامنا نظـــرة واضحة لعلاقة الفـــكر الاسلامى مع الفكر الغربى .

الفكر الغربى يعمل فى محاولة دائبة منذ بدأ الاستعمار والنفوذ الأجنبى على احتواء الفكر الاسلامى والحيلولة دون سيطرته على المجتمع الاسلامى . وذلك يبدو فى عدة مواقع هامة :

أولا — التعليم : فهو خاضع للمناهج الغربية وهو الخنجر الذى طعن به المسلمون .

ثانيا — الجهاد : وقد جرت المحاولات لتأويله واقصائه عن حياة المسلمين .

ثالثا — الشريعة الاسلامية : سواء فى مجال القانون أو الاقتصاد وقفت الحوائل دون تحقيقها .

رابعا — اللغة العربية : جرت المحاولات المتصلة للهجوم عليها وانتقاصها محاربة للقرآن الكريم .

ثم جاءت الموجة التالية وتتمثل فى الغزو الثقافى والتغريب :

(اولا) محـــاولة السيطرة على البلاد الاســـلامية بالنظم الديمقراطية والقومية والماركسية .

(ثانيا) محاولة سيطرة مفاهيم النفس والاجتماع والاخـــلاق على اسلوب العيش الاسلامى .

وقد جاء هذا مرحلة تالية لسيطرة الصهيونية العالمية على الفكر الغربى سيطرة كاملة . فقد برز زعماء اليهود كمفكرين مسيطرين على جميع مجالات الفكر الغربى حيث حوروا المفــاهيم التلمودية اليهودية الى نظريات حديثة لها طابع علمى زائف ولكنه براق وقــد سيطر اليهود الأربع : هرتزل ، وماركس وفرويد ودور كايم وجاء بعدهم سارتر وهو يهودى الأم .

الاهـــداف :

اولا : تحويل الفكر البشرى ناحية الطعام والمادة .

ثانيا : تدمير النفس الانسانية عن طريق الجنس .

ثالثا : اعلاء العنصرية والقوميات والدماء .

رابعا : تأكيد الأنشطارية بين الروح والمادة مع اعلاء المادة .

وبرزت الفرويدية والماركســية ومدرسة العلوم الاجتماعيــة (ودركايم وليفى بريل) ومدارس مقارنات الاديان وعلم اللغة وعــلم الانثريولوجية وكلها علوم تستهدف اعــلاء الفكر التلمودى الوثنى المــادى الاباحى وبعث تراث التلمود والغنوصية والفــكر البابلى القديم .

أما بالنسبة للمسلمين فقد وقعوا تحت تأثير الاحتواء فترة ثم

بدءا يستفيقون ، ونحن نرجو أن يكون (عصر التبعية) قد انتهى وبدأ (عصر الترشيد) ويمكن القول بأننا الآن فى مرحلة الفهم والعلم والوعى بالخطر الذى يراد بنا ويجب علينا الانتقال بقوة وفورا : الى مرحلة الارادة والتغيير .

كذلك يجب ان تكون نظرتنا الى الغرب واقعية .

العالم الغربى الآن يمر بمرحلة « الأزمة » وبدور « النهـاية » فقد عجزت الحضارة ان تعطيه سكينة النفس أو طمأنينة القلب بعد أن فصل بين الروح والمادة ومن ثم كانت ابرز مظاهر حياته الآن :

(التمزق والضياع والعبث)

فهل لا يزال المسلمون فى حاجة الى فتات المـوائد وحثالات الأطباق .

ان الاخطار التى تواجهه الآن هى بمثابة مؤسسات ظاهـرة ومنظمات خفيـة فلا تغفلن أبدا عن ذلك : امامنـا الماركسـية والاستعمار والصهيونية مؤسسات ظاهرة ولكن هنـاك منظمات خفيـة : هى الماسـونية والروتارى والليونز وهنـاك الروتارى والقاديانية والروحية الحديثة ومنظمات التبشير والاستشراق .

وهنـاك العلاقة الجذرية بين الماسونية والصـهيونية وبين الصهيونية والشيوعية ، وهناك مخططات حركة التنصير العالمية التى تختفى وراء حـركة الحوار ، وهنـاك دعوات الفرعونيـة والفينيقية المختفيات وراء مذاهب دينية .

وهناك اخطار فكر فرويد وسارتر ودوركايم ، تبدو واضـحة الأثر فىنفسيات الشباب وفى مفاهيمهم ، وفى مفاهيم المرأة وقضاياها، وكلاهما تتمثل فى اخطر قضيتين :

أولا : ايجاد الصراع بين الآباء والابنـاء وتغذية روح الكراهية بينهما .

ثانيا : اثارة الشبهات حول قوامة الرجل على المراة وخلق روح الكراهية بينهما .

وهناك قضيتان بالغتا الخطورة : يجب ان تدرسا بدقـــة وان تعرف ابعادهما وحلقـــات الخطـــر القائم وراءهما وهـــو يتمثل فى بروتوكولات صهيون وما كشفت عنه من هدف الاستيلاء على العالم وتدميره اخلاقيا قبل السيطرة عليه .

وماذا اعـــددنا للعام الحاسم المتمم للمائة عام التى حـــددتها البروتوكولات عام ١٩٩٢ .

وبعد فهذه خلفيات وابعاد ارجو ان يكون فى تقدير مثقفينا وهم يناقشون ويدرسون ، وهى تحديات حقيقية فانها اذا ما استحضرت سوف تعطيهم فهما اعمق وقدرة اوسع على الاحاطة بالازمة وعلى ايجاد الحلول الناجعة .

لقد تبين تماما ان التجربة التى قام بها المسلمون والعرب للنظم الغربية سواء الليبرالية أو الماركسية فقـــد فشلت تماما فى تحقيق المطمح الاسمى لأمة القرآن ، وبذلك اصبح الطريق امامهم مفتوحا نحو خط واحد لم يجربوه ، وهو خطهم الأصيل وهو ملازهم الوحيد الذى لن يجدوا دونه محيصا الذى صاحبهم أربع عشر قرنا وحماهم واكد وجـــودهم ودافع عنهم وســـيظل يحميهم من عاديات الزمن واحداث الأيام ما استمسكوا به .

❊ ❊ ❊

(٨)

لكل عصر رؤياه التى يحملها المصلحون استمدادا من الاسلام فى مواجهة تحديات عصرهم ، لقد سبقتنا رؤيا خير الدين التونسى ورفاعة الطهطاوى ، ضرورة اقتباس المسلمين لأفكار أوربا واقناع المسلمين بأن ذلك لا يتنافى مع أحكام الشريعة ، وسبقتنا رؤيا جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : الجمع بين القديم والجديد والشرق والغرب على هدى وبصيرة . وسبقتنا رؤيا اقبال وفريد وجدى ومالك بن نبى : التفسير العقلانى للفكر الاسلامى تحت اسم المعتزلة الجدد . وهى كلها محاولات نقية الهدف والوجهة حاولت أن تفسر عصرها وتقدم للمسلمين منهجا يواجه تحديات العصر . فالاسلام غير متناهى ورؤيا التجديد تكون دائما متناهية قائمة على التحدى الذى تواجهه متحركة فى حدوده . اما رؤيا عصرنا : رؤيا مطالع القرن الخامس عشر والتى بدأت منذ حين فهى « الحفاظ على الذاتية الاسلامية » فى مواجهة التحدى بالاذابة والاحتواء وهواخطر ما تعرضت له الأمة الاسلامية فى تاريخها الحديث من امتحان شديد. ان رؤيا عصرنا « قرآنية خاصة قد تحررت من اخطاء الفلسفات والكلام والتأويل وشاملة جامعة لخير ما فى هذه المذاهب والمناهج فى اطار القرآن الذى خاطب القلب والعقل والوجدان ، خاطب الفيلسوف والمتعلم والأمىووصل الى أعماق المشاعر وخفايا النفوس لقد أصيب كل تفسير من هذه التفسيرأت بالانحراف ولم يستطع ان يقدم التحفظات والتحوطات الصحيحة دون الانزلاق فى الاحتواء الغربى واستطاع التغريبيون أن ينفذوا اليه ، كما نفذوا من قبل الى الاعتزال والتصوف ، أما المنهج القرآنى فانه المحكم الجامع الذى

يعجز عنه المبطلون . ولقد أخذ الغربيون الفكر الاسلامى (العـــلم التجريبى ومنهج المعرفة ذو الجناحين) ولكنهم أفرغوهما من العقيدة الإسلامية ، ولكنا نحن لم نفعل ذلك ، لقد وقعنا فى المحظور حين نقلنا أسلوب العيش الغربى ، ولم نكن فى حاجة اليه ، وترجمنـــا الوثنيات والاباحيات من حضارة الرومان واليونان فى اطارنا الاسلامى ولغتنا العربية حتى تستطيع حضارة الاسلام التى توقفت عن العطاء أن تثمر مرة أخرى .

والحقيقة اننا فى حاجة الى التعرف على حقيقة الاسلام : وان تتعرف أمتنا على المفهوم الأصيل فنحن فى الأغلب مسلمون جغرافيا أو بالوراثة ، وفق مفهوم ساذج تداعت به تطورات الأحداث خلال فترة الضعف التى مرت بالمسلمين ، والتى غلبت فيها مفاهيم الجبرية الصوفية ، ثم جاءت مؤامرة التبشير والاستشراق باسم السيطرة الأجنبية فحاولت أن تجعل الاسلام دعوة الى الصلاة والصيام والحج وهى كذلك فى الحق ولكن الاسلام ليس دينا لاهوتيا عباديا ولكنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة ، وله مفهوم جامع متكامل يمد جناحيه الى السياسة والاقتصاد والأدب واللغة والتاريخ والتربية ، فهى كلها روافد لفكرة أساسية هى بناء الانسان المسلم على طريق الله ، وبناء المجتمع الربانى القائم لتحقيق العدل والرحمة والاخاء البشرى ، وله مسئوليته الفردية والتزامه الاخلاقى وايمانه بالبعث والجزاء : هذه الرسالة هى المسئولية التى يجب ان نبنيها فى قلب كل مسلم ليعرف من هو ، وما هى غايته فى الحياة ، وكيف ينطلق الى هذه الغاية .

ومن ثم كان لابد من اعادة ألنظر فى قضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية المطروحة علينا من خلال المناهج الوافدة التى فرضت علينا خلال فترة النفوذ الأجنبى والتى ما زالت تسيطر على مجتمعاتنافى المدرسة والجامعةوالصحيفةوالثقافة والاذاعةالمسموعة والمرئية والمسرح ، وكلها لا تقـــدم منظورا اسلاميا حقيقيا ، ولذلك

فنحن نتطلع الى آفاق جديدة يعاد فيها النظر فى مناهج جامعاتنا ومدارسنا فى العلم الاسلامى بحيث تحقق :

أولا : مقدمات العلوم التى قام المسلمون باعدادها والدور الذى قاموا به فى بناء علوم التجريب والفلك والطبيعة لتكون واضحة امام ابنائنا ممثلة للدور الحقيقى الذى كان لآبائهم .

ثانيا : وجهة نظر الاسلام التى يجب أن تكون واضـــحة ازاء قضايا النفس والاخلاق والاجتماع وفى مواجهة الداروينية والفرويدية والماركسية والوجودية جميعا ونحن نعرف أن محاولة (حجب الاسلام) عن أهل الغرب هى رسالة التبشير والاستشراق الأساسية ، وان هذه الرسالة بدأت بعد عودة المحاربين فى الحروب الصليبية الى الغرب مبهورين من سماحة الاسلام ومتحدثين عن عدل صلاح الدين وعفوه وعن أن القضية الكبرى التى قامت من أجلها الحروب الصليبية وهى تخليص بيت المقدس كانت الخدعة الكبرى حيث لم تكن هنـــاك فى الحقيقة مؤامرة حقيقية ، ولكنها كانت محاولة صـــد أوربا عن الاسلام .

ان آية عصرنا هو هذا (الحذر) والتحوط من الانصهار فى بوتقة الغرب الفكرية وهى تمر الآن بمرحلة الضعف والانهيار . ان القوى التى ترغب فى استدامة السيطرة على عالم الاسلام تخطط فى مكر شديد فى سبيل تعويق نهضة هذه الأمة وذلك عن طريق اذابة شخصيتها وصهرها فى بوتقة الأممية العالمية واحتوائها حتى لا تستطيع أن تؤكد ذاتيتها الخاصة التى تميزها ، ذاتية التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشرى الذى عرفت به الذاتية الاسلامية منذ اربع عشر قرنا وكان علامـــة واضحة . لا ريب ان الاســـلام صـــديق للاديان والأمم والحضارات يود ان تقـــوم علاقة معها جميعا على أساس التعارف والالتقاء واقتباس الصالح ، ولكنه حريص على أن لا يفقد ذاتيته فى هذه الجولة من جولات الالتقاء الثقافى أو الحضارى فهو ليس عدوا

مقاتلا ولا خصما مصارعا ، ولكنه بحكم آياته المحكمة ، يستطيع أن يلتقى مع الأديان فى مواجهة التحديات التى تواجه البشرية دون أن تخضع للمحاولات التى تريد أن تحتويه أو تذهب بذاتيته الخاصة ، ولن تكون حضارة الاسلام المتجددة معارضة او مصارعة للحضارة القائمة ولكنها ستقدم للبشرية ذلك اللون الربانى الخالص الذى عجزت عنه الحضارة المادية ، وستقدم لها تكامل الانسان نفسه فى أشواق روحه ومطالب ذاته .

* * *

هناك ثلاث حقائق يجب أن نلتفت اليها ونحن فى طريق (الدعوة الى الله) :

أولا : ان الاسلام ما زال محتاجا للدفاع عنه بالرغم من قولة القائلين بأنه لم يعد قاصرا أو اننا نضعه دائما فى قفص الاتهام ، أو اننا يجب أن ننطلق من منطلق الهجوم . الحقيقة ان رسالة التعريف بالاسلام والدفاع عنه رسالة خالدة ، مدى الدهر ، ما بقى الاسلام، لأن هنـــاك محاولات دائبة لا تتوقف للنيل منـــه واثارة الشبهات حوله :

هذه المحاولات ترمى الى عدة أهداف :

(أولا) : الى تزييفه فى نظر أهله وتشكيكهم فيه ، واخراجهم منه وذلك بانتقاص قيمه ومقوماته .

(ثانيا) : واثارة الغبار حوله فى وجه زحفه السلمى الى مختلف المجتمعات العالمية اليوم بعد أن أصبحت له جاليات عريقة فى كل انحاء اوربا وأمريكا واستراليا تقدمه كنموذج تطبيقى حى لأهل تلك المناطق .

ولقد تعلمون ان هناك محاولات تجرى اليوم للتقارب بين الأديان ، بعض هذه المحاولات من صنع الصهيونية العالمية بهدف اضعاف الاسلام وبعضها الآخر يرمى الى التمويه والخداع بينما قوى التبشير ما تزال تعمل فى قوة فى مناطق مختلفة من افريقيا وجنوب شرق آسيا ولعل القضية الكبرى فى نظرهم هى الحيلولة دون وصول الاسلام

الى الامم الغربية المتعطشة الآن الى منهج حياة ونظام مجتمع جديد ولما كان هذا النظام الجديد الذى تتطلع اليه البشرية فى القرن الخامس عشر ليس سوى الاسلام فان هناك محاولات لحجب الاسلام بدعاوى (الحوار) والحوار يهدف فى حقيقته الى الحصول على اعترافات اسلامية من علماء مسلمين لامعين ، بأنه لا توجد خلافات حقيقية بين الاسلام والمسيحية وان الخلاف بينهما هى خلافات أكادمية وذلك لتقديمها الى الغربيين لاقناعهم بأن تطلعهم الى الاسلام لا يفيد بعد ان تبين لهم كذبا وزورا — انه لا خلاف .

(ثانيا) ان هذه الأمة الاسلامية قد صبغها الله تبارك وتعالى فى هذه القارة الوسطى على نحو فريد أراد به أن تكون فى يدها مقاليد الأمور العالمية فى الحرب والسلم والتجارة والحضارة ، واعطاها فى العصر الحديث : الثروة والطاقة والتفوق البشرى السكانى لغاية يعلمها وغاية مقررة فى مقتبل الأيام والسنين ، وهى ما زالت منذ بزوغ الاسلام الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها مطمع الغزاة والأقوياء ومطمح الأمم الطامعة فى ثروتها وموانيها وخلجانها ومواقعها الاستراتيجية ، فما أن تغفل هذه الامة أو يصيبها الضعف أو الفتور أو الجمود حتى تتدافع القوى المغيرة الى السيطرة عليها واحتوائها ولذلك فهى مطالبة بأن تكون على تعبئة وأن تكون فى موقع المرابطة الدائمة فى الثغور حتى لا تفاجىء من عدو ، ولقد أوصاها الحق تبارك وتعالى بذلك وحذرها : ((**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**)) . ((**ود كثير من اهل الكتاب لو يردوكم بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم**)) . ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم**)) . من اجل هذا كله فان شباب هذه الأمة يجب أن يكونوا مفطومين عن الشهوات والترف والأهواء حتى يكونوا قادرين على المواجهة . ولا ريب أن أهل هذه الأمة فى رباط الى يوم القيامة ، ومن هنا فقد اتجه أعداء الاسلام الى تدمير هذه القاعدة الأصيلة الراسخة بالدعوة الى الاباحيات والفساد

والانحلال رغبة فى تدمير هذه الحصانة التى يجب ان تكون قائمـــة لا تضـعف ، قوته لا تلين « واعدوا » .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقو الله » .

ان الاسلام منذ ان بزغ فجره وهو عامل مؤثر فى حركة العـــالم كله وما حـــدث حدث بعد ذلك الا وللاسلام اثره فيه ، ولقد كان ظهور الاسلام حدا فاصلا بين العصور القديمة وبين عصر جـــديد اطلق عليه المؤرخون اسم « الانقطاع الحضارى » فما عادت الوثنية الفارسية والفرعونية واليونانية والرومانية الا صفحات من التاريخ تتلى للعبرة ، فقد كان ظهور الاسلام علامة على (رشد البشرية) ونهاية لعبودية الانسان للانسان فى الأمم والحضارات وعبـــودية الانسان للاوثان والأصنام فى عبادة الله تبارك وتعالى .

(ثالثا) ان للمسلم رسالة وان أول ما نفتح أعيننا على الحياة فيه هو ان نسأل أنفسنا ما هى مسئولياتنا ورسالتنا ووجهتنا وهدفنا وأهداف الناس فى الحيـــاة متعددة ، وكن المسلم له وجهة واحدة ، وهدف واحد، هو عبادة الله تبارك وتعالى بالعمل فى المجتمع والسعى والعمران واداء حق الله وتحامى ما حرمه :

(فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله)

التوحيد الخالص بعيدا عن مفاهيم الاتحاد والحلول ووحـــدة الوجود واسلام الوجه لله خالصا « اياك نعبـــد واياك نستعين » للاســـلام حريته وللاسلام عقلانيته وللاسلام عـــدله الاجتماعى ، المختلف اختلافا بعيدا عن الليبرالية والعقلانية والاشتراكية ، لقـــد ظهرت كتابات خاضعة للتيارات التى احتوت العالم الاسلامى فكتب بعضهم ديمقراطية الاسلام واشتراكية الاسلام ، ولكن الاسلام منهج متكامل مختلف تمام الاختلاف عن المنـــاهج البشرية ، وآية تفرده وخصوصيته ربانية وهى مصدر قدرته على البقاء والخلود على

العصـــور وفى مختلف البيئات ، وسر عظمته جمعـــه بين الثوابت والمتغيرات ، وما اوتى من اطر واسعة قادرة على الحياة لا تصطدم بها الأحداث كما تصطدم الايدلوجيات البشرية فتصاب بالصـــدع وتحتاج الى الاضافة وانها بين حين وحين ، كما نرى فى الديمقراطية والماركسية ، ان للاسلام عقلانية خاصة فى اطارات متكامـــلة ، وروحية خاصة فى هذا الاطار لا تنفصل عنه وعندما استعلت عقلانية الاسلام باسم الاعتزال سقطت ، وعندما استعلت روحانية الاسلام باسم التصوف فسدت ، فالاسلام يتميز عن مذاهب الغرب المـــادية الخالصة التى لا تعترف باشراق الروح ومذاهب الشرق الروحيـــة الخالصة التى لا تعترف بالمادة بانه جامع لهما وفق طبيعة الانسان التى صنعت من الطين ونفخت فيها الروح ، ومن مفهوم الاســــلام الربانى نشأ المنهج العلمى التجريبى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ونشأ منهج المحاجة والجدل **(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)** فلنحذر خطـــر التبعية والتقليد والتأويل : هذه الدعاوى الخطيرة التى تحاول انكار الغيب والجزاء والجنة والنار ، وتدعو الى سقوط التكليف عن كل من وصل الى معرفة الله ، أو عبادة قوى الطبيعة ، وهى التى احيت نظريات الفيض والاشراق والاتحـــــاد والحلول ودعاوى الروحية الحديثة وتحضير الارواح ، هذه التى انبعثت منها مذاهب البهائية والقاديانية والماسونية واثارت دعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية ، والتى دعت الى فصل الدين عن المجتمع والدولة، وطرح المفاهيم الوافدةفى القومية الضيقة والاقليمية والشيوعية والقانون الوضعى ، وهى التى حملت لواء الدعوة الى العالمية والأممية والى اعتناق النظرية المادية المنكرة لوجود الخالق تبارك وتعـــالى والدعوة الى التحلل والاباحيـــة والحرية الدينية والاخلاقية .



الثوابت التى تقـوم عليهـا قاعدة البناء : القرآن والسـنة طريقنا الى الله تبارك وتعالى لا تنفك عنهما معا من اجل ذلك علينا ان نعرف اربعة : الرسول صلى الله عليه وسلم وهـذا القرآن الكريم والشرع الاسلامى والمنهج التجريبى الاسلامى .

أولا : هذا الرسول العظيم : المثل الكامل لكل مسلم : قدوتنا وقائد مسيرتنا الى الله تبارك وتعالى ، كم نحن فى حاجة الى متابعة خطاه ، واتباع سنته ، فقد كان خلقه القرآن ، وهو التطبيق العملى لمنهج الله ، وما أحرانا أن نتزود من سيرته ونهجه وان نكون ربانيين على طريقته لا ننحرف عنها ولا تزيغ بنا الاهواء الى ما يزينه بعض فلاسفة التصوف من حديث مسموم عن سقوط التكليف وعن تأويل لكلمات الذكر الحكيم وعن مفاهيم باطنية ضالة ومصلحات فاسدة لم ترد على لسان نبينا الكريم ، ولنذكر كيف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم التقدير والاحتفاء من الغربيين الذين درسوا سيرته دراسة مجردة بعيدة عن الأهواء ولننظر الى مثل قريب مما قاله مايكل هارت عن عوامل اختيار سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم الشخصية الأولى فى كتابه الاعلام المائة فى تاريخ البشرية .

لقد بدا العالم يتعرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفا منصفا بعد اجيال وعقود من الغبن والظلم ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم فى تقدير المنصفين هو القائد الأول للفكر الانسانى الذى وقف ينادى بأن الشمس والقمر آيتان من آيات وأنهما لاينخسفان لموت احد ، يقول مايكل هارت أن سيدنا محمـدا فى نظـرى هو الشخصية الأولى فى العالم لدوره فى نشر الاسلام وتدعيم وارساء قواعد شريعته ، فهو المسئول الأول والأوحد عن ارساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والاخلاص وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية .

ثانيا : وهذا القرآن العظيم : كتاب الله الخالد فى نصه الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القائم على التحدى للبشرية كلها منذ نزوله الى اليوم ، والى أن تقوم الساعة لن يأتى أحد بآية من مثله ، ذلك العطاء الذى لا يتوقف ، والنور الذىلايذهب حبل الله تبارك وتعالى الممتد من السماء الى أيدينا ، الذى أعجز البلغاء ، والذى لا تنقضى عجائبه ، ما أحوجنا الى أن نتمسك به ونلتمس هداه ونطبقه فى حياتنا ، يقول مايكل هارت فى كتابه (مائة رجل عظيم فى العالم على رأسهم محمد) صلى الله عليه وسلم : القرآن الكريم قد أنزل عليه وحده ، وفى القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون فىدنياهم وآخرتهم ، ولا يوجد فى المسيحية كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم ، ان القرآن الكريم العظيم هو الذى حفظ للعرب لغتهم وانقذها من عشرات اللهجـــات الغامضة » .

لقـــد بدأ العالم فى الغرب ، يتعرف على القرآن ويقيم المقارنات بينه وبين الكتب المقدسةعلى نحو يكشف عن طريق العلم والتجريب: ان هذا الكتاب منزل من عند الله ، وانه موثق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان الكتب الأخرى قد اصابها العطب والاختلاف والاضافة والحذف . وهذا التعرف على الرسول وعلى القـــرآن انما هى مقدمات هامة لمعرفة الحق .

ثالثا : الشريعة الاسلامية : عندما ينظـــر المسلمون انى ذلك التقدير العظيم الحافل من علماء القانون الغربيين للشريعة الاسلامية فى عديد من مؤتمرات علمية حافلة بانها شريعة ذات طبيعة مستقلة عن الشرائع الرومانية والفارسية وغيرها وعن ما تحمله من عطاء وافر يجب أن نقدر هذه الظاهرة وان نقف عندها طويلا، وان ندهش لأنفسنا لأننا مازلنا حتى الآن نقترض من الغير وعندنا الثروة الطائلة ان شريعتنا الاسلامية نظام جامع متكامل فى السياسة والاجتمـــاع والاقتصاد والتربية وبناء الأجيال .

لقد توالت اعترافات رجال القانون العالميين بمكانة الشريعة الاسلامية ، وقرر مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من أهم مصادر الشريعة العام ، وانها شريعة حية صالحة لكل الأجيال وانها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها ، وانها سمحت للحقوق بان تستجيب للرغبات التى يتطلبها نماء الحياة الحديثة ، وانها تضم أشرف النظريات القانونية والفن البديع ، وكل هذا يمكنها من تلبية جميع حاجات الحياة العصرية ، لقد ثبت بجلاء ان الفقه الاسلامى يقوم على مبادىء ذات قيمة اكيدة لامرية فى نفعها وان اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة ومجموعة من الاصول تتيح لهذا الفقه ان يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة العصرية وفى مجال الاقتصاد يقول (جاك اوسترى) أستاذ الاقتصاد فى جامعة السربون بباريس : أن النظامين الاقتصاديين العالميين : الراسمالى الحر والشيوعى المتيد ، قد عجزا عن حل مشاكل العالم الاقتصادية الا أن هذا الحل موجود فى النظام الاسلامى الذى جمع الخير لبنى البشر وبقى على المسلمين أن يمسحوا الغبار عن كنوزهم الثمينة وان يحسنوا عرضها للناس لتصبح طريق تصحيح وهدف انجاز .

رابعا : وهناك المنهج التجريبى الاسلامى الذى اعترف به علماء الغرب ، والذى يشهد بالدور الذى اداه الاسلام للبشرية بانشاء المنهج التجريبى ، فالمسلمون هم الذين وضعوا أساس هذا المنهج ، بعد أن تخلصوا من الفلسفة النظرية اليونانية وانهم صححوا نظريات الاغريق فى الفلك والبحار والكواكب ورفضوا السحر والخرافة واقاموا بناء علميا فى هذه المجالات خاصة فى مجال الطب وفرقوا بين الفلسفة الرياضية والطبيعية واتاحوا لها فرصة النماء بينما عارضوا الفلسفة الالهية التى لا تتفق مع مفاهيم الاسلام فى التوحيد والنبوة ، والمسلمون هم الذين انشئوا منهج المعرفة ذى الجناحين بعيدا عن تعقيدات الفلسفة ومسطحات الالحاد ومغريات الاباحة .

ان هناك فى عصرنا اليوم تيارات اربع : الراسمالية والماركسية وأبوهما التيار الصهيونى البارز الدور فى مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق والفلسفات المادية ، وتدمير مقومات القيم وروح الدين فى مختلف دراسات الاقتصاد والسياسة والتربية أما التيار الرابع فهو الاسلام : هذا التيار الذى يقوم على أســـاس الفطرة وما يقبله العقل وما يقرره العلم ، يلاقى اللطمات اليوم من التيارات الثلاث التى تعمل على الادالة منه ولكنه لصدق وجهته ما زال ثابتا راسخا حتى شهد له المنصفون . شهد المنصفون للعقيدة القائمة على التوحيد والأخلاق ، وللشريعة المحكمة ، للمنهج الاقتصـــادى الصائب حيث ترتبط فكرة التقـــدم بالجمع بين المادى والروحى ، وفكرة التحديث بالأخلاق والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية . لقد كشفت وقائع التاريخ عن فساد الخطط السياسية والاقتصادية من ماركسية وصهيونية وراسمالية ، وكشفت التجربة بالتطبيق فى البلاد الاســـلامية عن سقوط الراســـمالية والماركسية ، ورفضت النفس العربية الاسلامية قبول المنهجين ولم يعد أمامها الا منهجها الأصيل الذى بناه القرآن فى أعماقها أربعة عشر قرنا ، عليها أن تعود اليه وتلتمس منه الطريق الصحيح ، وعليها أن تقدمه للبشرية ليكون علاجا لادوائها وحلا لمشاكلها وعاملا على قيام المجتمع الأمثل الذى ما زالت الانسانية تتطلع اليه من خـــلال عشرات الطوبياء (مـــن جمهورية أفلاطون الى الماركسية) دون جدوى .

واليوم نحن نجد أن تيارا جديداً يبرز بشدة فى أفق الغرب .

هذه الظاهرة بدأت ترى ان الاسلام هو محرر البشرية الحق ،

أعلنها بعض المفكرين المتحررين من قيـود الاستشراق أمثال درابر وجوستاف لوبون وكارليل وسجريد هونكة ، ثم نمت واتسع نطاقها واستطاعت أن تدخل عددا من المستثيرين فى دائرتها حتى أصبحت تيارا قويا يؤمن بأن العالم اليوم لن يستطيع أن يخرج من أزماته وأخطائه الا بأن يلتزم هذا المنهج أسلوبا للحيــاة . هذه الظاهرة يجب أن لا نستهين بها وعلينا أن ننميها وندفعها لتزداد قوة ورسوخا وعلينا أن نتابع آثارها ونتائجها . وعندما نرى رجلا مثل الدكتور موريس بوكاى يتحدث عن القـرآن الكـريم فى مقـارنته بالكتب المقدسة ، نؤمن حقيقة بأن الاسلام يستطيع أن يقدم نفسـه على أسـلوب العلم الحديث للعصر الحديث كما تقـدم ظواهر الفلك والصواريخ المنطلقة الى القمر والكواكب الأخرى ، مزيدا من الفهم العميق لعظمة الخالق الذى صنع هذا الكون الواسع والذى يديره جـل شـأنه لحظة بعد أخرى ، والذى تكشف التلسكوبات كل يوم عن جديد من عالم واسـع غير محـدود . لقد قدم المسلمون للبشرية (المنهج العلمى التجريبى) و (منهج المعرفة) ذى الجناحين وقدموا لها التوحيد الخالص ، ان لوثر عند ما قاد حركته لاصلاح الكنيسة كان يضع أمامه نسخة من القـرآن ، ان فاسكودى جاما عندما عبر المحيط كان معه احمد بن ماجد ، ان دانتى عندما كتب الكوميديا الالهية كان أمامه كتاب المعرى .

أما هذه الحضارة الغربية التى تحاول احتواء عالم الاسلام ، والتى كان دورنا فيها هو الأصل الأصيل والتى أحرفت عن منهج الله . فالسؤال هو : هل تأخذنا اليوم بعد أن وصلت الى مرحلة الانهيار . يخدعنا بهذا عدد من الكتاب الذين يقولون ان أعظم ما فى حضارة الغرب هو الفن ، أى فن هذا ، الخـارج عن الفطـرة ، المعارض لطريق الحق ، المنطلق من قيود الأخلاق .

ان هناك خمس قضايا كبرى بيننا وبين الحضارة الغربية . هى :

(النظام الاقتصـادى ، النظام السياسى ، النظام التربوى ، النظام الاجتماعى) .

نحن لا نقبل بالعلمانية ولا بالاباحية ولا بالوثنية : هذه السموم المبثوثة فى كل الكتابات والقصص والمسرح ، لقد علمنا الاسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا ونورنا الهادى ، (القرآن) اننا نواجه اليوم معركة حاسمة : هى معركة القضاء على ذاتية الأمة الاسلامية ، حتى نستسلم وننصهر ونذوب فى تيار الأممية والعالمية ، وحتى تفقد تلك الخصائص التى صنعها لنا القرآن والاسلام فعلينا أن نحارب فى سبيل التحرر من التبعية والاحتواء والانصهار ، بكل ما نملك من قوة . ان الحضارة الغربية تعانى من داخلها قلقا هائلا تتبدى مظاهره الخطيرة فى انحلال الأسرة وسقوط القيم السامية وانتشار المجاعة الروحية وفقدان الانتماء وانتشار الاجرام وذوبان الحوافز الدافعة للانجاز البطولى والتضحية بالمثل العليا وشيوع الالحاد واليأس والجريمة والمخدرات وعبادة الجنس والاسراف والشذوذ . ان هذه علامات النهاية ، انها نفس العلامات التى عرفها التاريخ عن حضارة اليونان والفرس والرومان والفراعنة . لقد رفض المجتمع الاسلامى فكرة القومية الغربية والاقليمية والطبقية والصراع الطبقى وأفلست أيدلوجيات الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية لأنها أنظمة استمدت وجودها من الاستعمار والنفوذ الأجنبى وكذلك أفلست ايدلوجيات الماركسيين والشيوعيين والاشتراكيين ، وكان فى افلاس هذه الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية افلاس للفكر الوافد ومذهب التبعية ولم يبق بعد ذلك أمام المسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر الا منهجهم الربانى القرآنى .

* * *

ان الفكرة التى طرحها التغريب والنفوذ الغربى الوافد وهى فكرة تطوير الدين وتطوير القيم ، وتطوير الشريعة وتطوير اللغة وتطـوير التاريخ هى فكرة مسـمومة يجب أن نحاذرها ، وأن نواجهها ، ذلك أن خصوم الاسلام يعلمون ان (ثوابت الاسلام) هى حصنه الحصين ، وقاعدته الصـلبه ، وجداره القوى الذى لا تنفذ اليه القذائف وان هذه الثوابت هى التى حفظت للمسلمين قدرتهم على مدى اربعة عشر قرنا فى مواجهة التحديات والاخطار التى واجهتهم سـواء من الحـروب الصليبية او حملات التيار أو مؤامرات الفرنجـة فى الأندلس والمغرب او الاستعمار الغربى أو الغزوة الصهيونية القائمة الآن والمرتبطة بالنفوذ الغربى الراسمالى والنفوذ الشيوعى الماركسى .

لقد كانت فكرة (تطوير القيم) اطروحة أزمة التطور الحضارى ١٩٧٤ بينما كانت فكرة (تطوير الاسلام) أطروحة مؤتمر برنستون ١٩٥٣ وكانت فكرة مؤتمر بلتيمور هى تزييف تاريخ الاسلام بابراز المؤتمرات التى قام بها القرامطة والزنج والشعوبية على انها حركات تحريرية وعدل اجتماعى .

ان هدف كل هذه الجهود المبذولة فى الغرب هو القضاء على « ميزة الاسلام » الخاصة التى جعلته متميزا على الأديان ، وهدم ذاتيته المفردة ، ليكون اداة لتبرير القيم الغربية ، وقبول الحضارة الوافدة بكل ما فيها من فساد واباحيات ، وللقضـاء على امرين اساسيين :

١ ــ مفهوم الجهاد الاسلامى القائم الى يوم القيامة .

٢ ــ مفهوم الأخلاق الذى هو الصيغة الحقيقية لكــل بنيان اجتماعى .

وغاية ما يهدف اليه التطوير اخراج المرأة المسلمة من رسالتها الأصيلة ومهمتها الأساسية وهى بناء الأسرة والقيام على الطفــل وذلك لتخريج أجيال مهدمة مدمرة ، لا تعرف حقوق الله ولم تنشأ على الايمان والصلاة .

انهم يرمون الى (تمسيح الاسلام) بادخال القيم الغــربية عليه ، وهى ليست تعاليم السيد المسيح قال كرومر : ان الاسلام بطبيعته العالمية عدو الحضارة الاوربية والمسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على تولى الحكم لذلك سيكون المستقبل للمتربين تربية أوربية » .

انهم يريدون هدم ثوابت الاسلام بالدعوة الى التطوير المطلق ونسبية الأخلاق ، ولكنا نحن المسلمين نعرف أننا نتحرك فى اطار من الثوابت والمتغيرات فهناك الحدود والأسس الثوابت التى لا يعتريها التغيير ، وهناك حركة داخل هذا الاطار فى الفروع والمسائل المتغيرة ولن نقبل أبدا أن تتعرض القيم الثابتة الأساسية التطوير ولن تأخذ من الغرب الا تنظيمات وأساليب أما النظم فلسنا فى حاجة اليها ، أن تطوير القيم تبناه اليهود فقد دفعوا بدارون ودوركايم وفرويد لترويج نظريات قيل انها علمية تنتهى الى أن الأخلاق نسبية وليست ثابتة وان القيم يجب أن تتغير بتغير الزمان . أن الاســـلام يحــكم السلوك فى القول والمعاملات وهذه أخلاق ثابتة لا تخضع للتغيير والتطوير ، أما الذى يخضع للتطوير والتغيير فهى الصناعة والمعمار واحــوال المدنية أما القيم الدينية والأخــلاق فهى فى جميع الأديان لا تختلف باختلاف الزمان والمكان .

ولا يمكن ان يكون الكـذب والفحـــش والسرقة والدنس والانحراف الجنسى (وهى رزائل) ان تصبح فضـــائل يوما ما ، وستظل كذلك الى ان يرث الله الأرض ومن عليها . ان القول بأن القيم الدينية والأخلاقية تتطور او تتغير على الزمن يجعـل الدين مرتبطا بالعصر ويكون تبعا لسنته وقـد جاء الاسلام ليحطم هـذا القيد ويحرر الناس من هـذه التبعية على حـد تعبير المستشار سالم بهنساوى الذى يقول : ان المناداة بتطوير القيم وربطها بعادات الناس وميولهم من شأنه أن يجعل الاسلام ماركسيا ، وأن يجعل لدعاة الجنس واللذة اسلاما يجعل ممارسة هذا اللون تسبيحا بقدرة الله واعترافا بجمال الخالق كما زعم البعض ومن شأن هذه الدعوة أن تحطم عقيدة الاسلام وهذا ما نصح به كرومر فى كتابه (بريطانيا العظمى) فى مصر حين قال :

(اذا أمكن للمبادىء الاسلامية ان تتطور مع الزمن المتطور عند ذلك سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد) .

ولا فرق بين دعوى كرومر وجب ودور كايم وفرويد وجواد سيهر وبين تلك التى ينادى بها البعض .

ان الذى يتطور هو الفكر البشرى الذى يصنعه الانسان لم لا يلبث أن يجد متغيرات الحياة قد أصابته بالاضطراب فاذا أهله يبحثون عن أسلوب للحذف منه والاضافة اليه ، أما الاسلام : دين الله الخالدفانه بربانيته قادر على التجاب مـع مختلف العصـور والهيئات ، ولا يحتـاج الى تطوير لأن أطره الواسعة قادرة على استيعاب الأحداث والمتغيرات .

والغربيون ان كانوا صادقين فهم لم يعرفوا الا الفكر البشرى وان كانوا خادعين فنحن نؤمن بأن الفكر الربانى لا يتطور وانهم ماكرون خادعون يريدون ان يخرجونا من عقائدنا ولن يفلحوا .

* * *

هذه كلمات يجب أن نرددها كل يوم ، وأن لا نكف عن ترديدها :

ان الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، وليس دينا لاهوتيا كأديان الغرب ولذلك فانه قادر على اعطاء النفس البشرية أشواقها الروحية وحاجاتها المادية ، وان تميزه بالتكامل الجامع ، والربط بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة هو الذى فتح أمامها الآفاق للنماء الجامع بين التقدم المادى والمعنوى معا وهو مصدر أزمة الحضارة الغربية والفكر الغربى عند ما فصل بينهما بما أدى ويؤدى الى ذلك الاضطراب الخطير الذى يواجه العالم المعاصر بين مذهبين رأسمالى واشتراكى وقد عجز كلاهما عن تحقيق السعادة لعالم مضطرب مما أدى الى تساقط الحضارة ومما جعلها تتهاوى تحت ضربات المادية والاباحية ، والاسلام وحده هو الذى يستطيع أن يقدم بديلا ايجابيا للانسانية .

وان المجتمع الاسلامى مطالب بأن يقيم المنهج الربانى الأصيل فى بلاده حتى يكون ذلك بمثابة النموذج الواقعى الذى تتعرف فيه البشرية الحائرة الى الحقيقة الغائبة .

ومن الحقائق الأساسية ان المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر أن يكشفوا شبهات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى التى تحاول تغريب المجتمع الاسلامى وتزييف الفكر الاسلامى واخراجه عن أصالته ومنهجه الربانى وقد تبين للمسلمين بعد التجربتين مع المذهب الليبرالى الرأسمالى الغربى والمذهب

الاشتراكى الماركسى ان كــلا الايديولجيتين لا تستطيعان اعطاء المجتمـــع الاســـلامى ولا النفس الاســلامية مطامحها واشواقها وان التجــربة معهمــا قــد سقطت وان المســلمين ليس لهم سبيل الا طريق الله تبارك وطريق شريعتهم ، وقد تكشف للمسلمين مدى الخطر الذى أصاب المسلمين نتيجة توقيف تطبيق شريعتهم الاسلامية واستبدالها بالقانون الوضعى ومدى الاثارة الخطيرة التى ترتبت على ذلك ، كما تعرف المسلمون على الأخطار التى نجمت من اهمال منهج التربية الاسلامية فى المجتمع الاســلامى واستبداله بالمناهج الغربية العلمانية الوافدة ومدى أثر ذلك على بناء الفرد المســلم والجماعة المسلمة كما تكشف للمسلمين مدى خطر الدعوات التى تنبعث من داخل المجتمع الاسلامى اليوم لهدم تكامل الاسلام وتزييف فريضة الجهــاد على النحــو الذى كشفت عنه أهــداف البهائية والقاديانية ومدى الخطر الذى لحق بالمسلمين من جراء مجاراة هذا الفهم الخاطىء .

ان المسلمين عامة مكلفون ومطالبون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مواجهة كل أمر من أمور الحياة والمجتمع ، فى الأسرة والجماعة حتى تقوم الوحدة الأولى على أصولها ثم تمتد لتشــمل الوطن الاسلامى كله .

ان المعركة اليوم هى معركة (تأكيد الذات) أو المحافظة على الذات ، أو حماية الذات : الذات الاسلامية التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا فهى تواجه اليوم أشد المؤامرات والمحاولات المكثفة لتفريغها مــن كيانها الربانى الخالص وصهرها فى الأممية والعالمية الوثنية المادية المضطربة ، هناك أخطار الانهيار والتدهور والجمود والمداخلة والانصهار فى الفكر البشرى العالمى .

ان المحافظة على الذات الاسلامية فريضة من فرائض العقيدة والأمة فى الوقت نفسه ، ذلك انه قد تبين أن الهدف الحقيقى وراء

المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى « **تذويب المسلمين فى الكيان الأمى والعالمى** » عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين وأصبحت تجرى على ألسنتهم ، فى سهولة ويسر ، دون أيد يدرون الابعاد الخطيرة التى ترمى اليها هى :

(الانفتاح الثقافى ، التلقيح الثقافى ، اثراء الفكر) ...

وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة الى توضيح لأخطارها واعماقها ، يغيب عن الغافلين المخدوعين .

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مـع القوى الغربية الحريصة على التهام العالم الاسلامى .

١ ــ مرحلة الاحتلال العسكرى والسياسى .

٢ ــ مرحلة الغــزو الفكرى الليبرالى الماركسى الصهيونى :

وقد استطاع عالم الاسلام أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الثالثة الجديدة المبسوطة الآن من وراء كل مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم هو ما يسمونه : التبادل الثقافى والمنح الدراسية وهو يستهدف ازالة الهوية الاسلامية العربية كاملة وصـــهر تلك الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اســـم الحضارة العالمية .

* * *

لا ريب ان للاسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره الذاتية فهو ليس صالحا لأنه موافق للديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية ، أو لأن فيه حرية فردية او لأن فيه مصلحة الجماعة او لأن فيه كذا وكذا الى غير ذلك من المفاهيم المنبثقة من مذاهب اخرى . ان للاسلام معانيه فى الخير والشر والحق والباطل : تلك هى المرحلة التى بدأت فى العصر الحاضر أو بدات طلائعها فى عدد من المولعات القليلة وفى عدد من الرءوس المفكرة فى العالم الاسلامى وهى المرحلة التى نعتقد انها ستكون مرحلة الاسلام فى المستقبل القريب ، اننا الآن فى اضواء الفجر الصادق الذى سيشرق بعد قليل فى هذا القرن الخامس عشر بالرغم من كل المعوقات التى نراها ، وأساليب الحقد والكراهية التى تنعقد عليها قلوب ونفوس تبغض هذا النور وتود أن تغلق عينها عن أن تراه ، وصدق الحق تبارك وتعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) ان كل العلامات تدل على اقتراب الضوء ، وعلى أننا على أبواب الحق الذى وعدنا الله اياه ، ولقد تضيق صدورنا من العقود والكراهية ومحاولات ايقاف هذا النور الذى يسرى ، ولقد تصل ببعض النفوس انتظار الفرج الى الاحساس باليأس وانقطاع الأمل فى فضل الله تبارك وتعالى من كثرة ما يرى من التعقيدات التى يقوم بها المتآمرون والماكرون ولكن المسلم الحق لا ييأس أبدا ولا يعتريه الشك لحظة فى انبثاق الفجر الصادق بعد أن طال أمد الليل وظلمته ، وهو ليل شبيه بذلك الذى عاشه المسلمون فى محن التتار والصليبيين والفرنج حتى لتحيل اليه أن عقول المتآمرين وحركاتهم وسيطرتهم على بعض

المواقع قد سدت المنافذ ، ولكن سوف تسقط الخيمة قريبا ويسجد صلاح الدين على الأرض بعد ان ينزل عن فرسه كما فعل فى حطين وكما فعل قطز فى عين جالوت .

ان الأضواء التى كشفت عنهـا تلك القلوب التى اوغلت فى الفلسفات واللاهوت أمثال جارودى وموريس بوكاى تؤكد ان تلك الأيدلوجيات التى تتعالى عن الأذعان لله تبارك وتعالى والتى تسخر من الخضوع لنواميسه النافذة ليست الا حصونا من الورق المقوى سرعان ما تسقط أمـام لمحات الايمـان التى تتدفق على القلوب المؤمنـة .

لقد اكتشف هؤلاء حقيقة أساسية أنه لا يمكن الفصل بين القلب والعقل ولا يمكن الفصل بين الروح والمادة ولا يمكن الفصل بين المجتمعات والحضـارات وبين الأخـلاق ولا يمكن أن تقوم الحضارات بدون الاذعان للخالق الصانع الذى يحرك كل شىء بارادته السابقة المتعالية على كل شىء .

كذلك فانه لا يمكن الفصل بين النظرية والتطبيق وانه فى اليوم الذى فصلت فيه أوربا بين هذه الجزئيات المتعاملة ، التى تتحرك فى اطار واحد والتى تكمل بعضها بعضا ، فان ذلك هو اليوم الذى بدات فيه أزمة الحضارة وازمة الانسان المعاصر ، الذى يقف فى حيرة وذهول وتمزق لأنه أعلى الجانب المادى ، واغفل الجانب الروحى .

ان هناك قضية كبرى تكشف عنها اليوم كتابات أطباء الحضارة الغربية الحديثة هى . « ازمة الفصل بين القيم » .

ان القول بأن العلم له ميدانه والدين له ميدان قول قد يبدو فى ظاهـر الأمر مقبولا ، ولكن معنى هـذا القول ان هناك عالمين منفصلين ، الحقيقة ان الدين بمفهوم الاسلام هو منهج حياة ونظام مجتمع ، فالعلم يجرى فى طريقه باحثا عن السنن والقوانين ولكنه

لا يستعلى ولا ينفرد ولا يضرب ضرباته او يتحرك على هوى اصحاب القوة ، ان العلم يحب أن يتحرك فى اطار مفهوم الدين الحق ليخدم البشرية لا ليخنقها ، وليقدم لها حياة طيبة مذالة ، ولكنه لا يكـــون مصـــدرا للهلاك . ان هناك خطأ واضـــحا يطرحونه فى أفق الفكر الاسلامى نتيجة مفهومهم فى الفصل بين القيم — مصدر الخطر الذى يواجه حضارتهم — قولهم ان لكل من العلم ميدانا والدين ميدانا ، وهو كذلك الخط الذى يقول بأن الدين خاص بعلاقة الانسان مع الله تبارك وتعالى وحده .

ليس العـــلم معاديا للدين ولا مناصرا له ، ان العـــلم يحاول تفســـير تطور الحياة عن طريق قانون السببية بينما يؤكد الاسلام مبدأ الغائية لهذا العالم فلما كانت الحياة كلها يجب أن تســـير على طريق الله وفى سبيل اقامة منهجه على الأرض فان الدين لله والعلم ايضا لله تبارك وتعالى .

فالسببية والغاية متكاملان وللعلم مسئولية اخلاقية ، كما لكل من شـــئون الفكر « أخلاقه السياسية واخلاقه الاجتماعية واخلاقه الاقتصادية » .

ولقد حذر البرت شفيزر : أن الانسان فقد القدرة على رؤية عواقب اختراعاته ، فيما يحدث بعد ظهور القنبلة الذرية والقنبلة النيترونية وقتل الملايين ، ومعنى ذلك ان انهيارا كاملا حـــدث فى الاخلاقيات العامة فأصبح العلم خطرا على بقاء الانسانية وتهديدا لها أما المسئولية الاخلاقية فهى تقتضى الايمان بأن هذا الكون لم يخلق عبثا وانه عن طريق العبث بالطبيعة تتعرض حياة الانســـان للخطر .

❋ ❋ ❋

(١٥)

لا ريب ان العــودة الى الاصالة وتعرف ذاتيتنا الاسلامية هو الحصن الحصين الذى يحمينا من الذوبان فى أتون الحضــارة العالمية وفى الأممية العلمانية الضــالة . علينا أن نتعرف على تاريخنا وتراثنا من مصــادره الحقة ، ايجابياته وسلبياته ، أما ايجابيته فننتفع به فى حاضرنا أما سلبياته فنتجنبها .

ان علينا أن نعلم ان النفوذ الأجنبى كان فى الماضى سياسيا وعسكريا فكنا نقاومه لانه كان واضحا مكشوفا ، أما اليوم فقد تحول وتخفى ولبس أثواب العلم والثقافة . ودخل بسمومه الى مفــاهيم التربية والفكر يحاول ان يغير القيم الثابتة ، ويحتــوى الصفحة البيضاء ، ويفسد جوهر التوحيد والجهاد والايمان القائم على الاصرار بالمقاومة وحماية البيضة والدفاع عن الكيان ، ان علينا أن نحمى المسلم المعاصر من الانهيار النفسى والتبعية لحضارة طاغية دخلت مرحلة الانهيار ، وتبرأ أهلها منهــا ، ولا ريب ان اكتشافنا لمؤامرة (النفوذ الأجنبى) بقواه الثلاث : غربية وصهيونية وماركسية يجب ان تجعلنا على يقظة تامة : ان المؤامرة تستهدف تجريدنا من مصادر القوة فى نفوسنا وتحطيم ايماننا بقدرتنا الذاتية وقدرة حضارتنا الإسلامية على العطاء ، ولا بد من اتخاذ قرارات حاسمة فى هذه المجالات الثلاث :

- الشريعة الاسلامية بدلا من القانون الوضعى لاصــلاح المجتمع .
- الاقتصاد الاسلامى بدلا من النظام الربوى لحماية المــال الاسلامى .
- التربية الاسلامية بدلا من العلمانية فى منهج التعليم الوافد لحماية النفس المسلمة والاجيال التى ستحمل الامانة .

ولا ريب أن هناك محاولات صهيونية ماركسية لاجهاض هذا

الطور من اليقظة الاسلامية وذلك بتشويه الصحوة الاسلامية والمد الاسلامى فى نظر الغرب .

فالمناهج التعليمية والتربوية فى الغرب سيطر عليها اليهـود وهى تشوه الحضارة الاسلامية ، هذه المناهج تصور العربى على صورة مغلوطة وحين يتحدث عن الاسلام تقدمه على انه دين حربى يؤكد على الجهاد ويشرحون الجهاد من وجهة نظر خاطئة ومشوهة وقد وجد فى كتب التدريس التى فى أيدى الطلاب فى الغرب صيغ كاذبة متوحشة ، ممتلئة حقدا على الاسلام ابان الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ، وحين تدعو حركة الحوار اليوم الى تصحيح كتب التاريخ فانها ترمى الى ان يقسط المسلمون من كتبهم الحروب الصليبية والاستعمار الحديث والغزوة الصهيونية وهم يرون انها هى العقبة فى سبيل التقارب الاسلامى الغربى ولكنهم لا يفكرون فى تنقية كتب الغـــرب قاطبة من نظرتهم الخاطئة الى العـــرب والمسلمين وحملاتهم القاسية على الاسلام والرسول والقرآن .

نقول للدعوات الثلاث المبثوثة فى مجتمعاتنا : لا سبيل انها دعوة واحدة ، نقول لدعاة التوحيد : لابد من اكتمال الحلقة بالدعوة الى الشريعة الاسلامية والتربية الاسلامية ، ونقول لدعاة التصوف وتهذيب النفس لابد من التوحيد والشريعة ، ان هذا العقد الفريد متكامل بدوره الثلاث : (العقيدة والشريعة والاخلاق) فعلى هذه الدعوات ان تتكامل حتى يكون الانسان نفسه وحتى لا تقع فى القرن الخامس عشر الهجرى فيما وقع فيه العقلانيون دعاة الاعتزال حينما ظنوا انهم ممثلو الاسلام ولا فيما وقع فيه الصوفية دعاة المعرفة الوجدانية الخالصة ، حينما ظنوا انهم يمثلون الاسلام ولنعد الى منهج القرآن نفسه : المنهج الجامع بين التوحيد والشريعـــة والاخلاق ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، فالاسلام يدعونا الى النظرة الجامعةوالى تكامل النظرة بين الجانبين المادىوالروحى القائمين أساسا فى الانسان (قبضـة الطين ونفخة الروح) .

دعائم كثيرة عمد النفوذ التغريبى الى تركيزها لضرب مفهوم الاسلام الصحيح أبرزها :

أولا : فكرة الاقليمية : التى ظهرت لتمزيق وحـــدة الوطن الاسلامى الجامعة بالادعاء بان لكل (قطر) فى حدوده التى مزقها الاستعمار اليه له تاريخ وتراث . ومن فكرة الاقليمية نبتت فكرة القوميات التى استغلت بالجنس والدم وقد بدات المؤامرة بدولة الخلافة الاسلامية التى كانت تمثل الوحدة الجامعة للمسلمين ، ومن خلال شعوبيين حملوا لواء الدعوة الى الطورانية القديمة بدأت الدعوة الى استعلاء تركى مصحوب بسيادة سياسية على العناصر المختلفة فى الامبراطورية الاسلامية ، واجهه محاولة مقاومة عربية عندما اراد الاتحاديون (تتريك) العناصر العربية .

كانت هذه الدعوة هى أخطر الدعوات لتمزيق وحدة العـــالم الاسلامى الى اقليميات وقوميات فارسية وتركية وهندية ، وهو تيار لم يكن يعرفه المسلمون من قبل ولا يقر به الاسلام الذى وحد المسلمين من خـــلال القرآن وحـــدة فكرية وروحية استغلت على العناصر والدماء . وقد استطاع النفوذ الاجنبى القضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق الامة الاسلامية الى دول تستعلى بالعنصر .

وكان حملة اطروحات الاقليميات والقوميات من دعاة الشعوبية ومن أعداء الاسلام ، حملها فى الدولة العثمانية الاتحاديون الذين سلموا طرابلس الغرب لايطاليا وفتحوا الباب لليهود الى فلسطين .

وكانت الصهيونية العالمية من وراء القوميات من أجل ابراز

ما يسمونه بالقومية اليهودية التى اخذت تزحف على فلسطين .

ثم كانت فكرة تفريغ العروبة من الاسلام واعتناق مفهـــوم القوميات الغربية بالنسبة للعروبة وهــو ما حمل لواءه ســاطع الحصرى وميشيل عفلق .

ثانيا : فكرة فصل الدين عن الدولة ، فى الاسلام وهى فكرة وافدة لم يعرفها المسلمون فى تاريخهم كله ، فقد كان الاســلام دينا ومنهج حياة جامعا بين علاقات الانسان بالله تبارك وتعالى وبالانسان والمجتمع ، حمل لواء هذه الدعوة على عبد الرازق بكتابه (الاسلام واصول الحكم) الذى لم يكن الا دراسة ماكرة خبيثة اعدها مستشرق يهودى هو (مرجليوت) الذى حاول ان يثبت ان الاسلام ليس الا نظاما روحيا ومجموعة من الوصايا كالمسيحية ، وقد اعتبرت رسالة على عبد الرازق دعامة اساسية من دعامات التغريب بنى عليها الكثيرون فكرة العلمانية وتمزيق الاسلام الى دين وسياسة .

ثالثا : فكرة فصل الأدب العربى عن الفكر الاسلامى والقول بأن الأدب له حريته فى التعبير بعيدا عن اعتبارات اخلاقيـــات المجتمع وقيمه الدينية ، وهذه هى الاطروحة التى قدمها الدكتور طه حسين ودافع عنها طوال حياته .

والواقع ان الأدب والثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية كلها فروع من روحة الفكر الاســلامى تتحرك فى اطاره وتنسق مع بعضه فى سبيل بناء الانسان الربانى والمجتمع الربانى وان أى فرع من هذه الفروع لا يستطيع الاستقلال بنفسه .

رابعا : فكرة نسبية الاخلاق والتطور المطلق وكلاهما من نتاج الفكر الغربى المادى فالاخلاق فى مفهوم الاسلام جزء من المفهوم الجامع الكامل (عقيدة ــ شريعة ــ اخلاق) وهى لا تخضع لتغير العصور ولها صفات الثبات ، كذلك فان مفهوم التطور فى الاسلام

ويعنى الحركة اينما يجرى فى داخل اطار الثوابت وهو ما يطلق عليه عبارة (الفروع) التى تتغير بتغير الزمان والبيئات .

خامسا : ماطرحته مفاهيم التحليل النفسى من سيطرة « نظرية الجنس » على تصرفات الانسان وما طرحه مفاهيم الماركسية من سيطرة (نظرية الطعام) على تصرفات الانسان وكلتا النظريتين لا تمثلان الحقيقة فالانسان قبضة من تراب ونفحة من روح ومن الانسان يتكامل الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة .

سادسا : فرض القانون الوضعى بديلا للشريعة الاسلامية ، وفرض النظام الربوى بديلا للاقتصاد الاسلامى وفرض مفهـــوم التعلم العلمانى بديلا للتربية الاسلامية وقد كان لهـــذا اخطاره الشديدة واثاره البعيدة المدى التى ترتبت على اضطراب شـــأن المجتمـــع نظرا لتوقف الحـــدود الاسلامية والتكامل بالربا وقـــد اثبتت التجربة الطويلة التى مر بها المجتمع الاسلامى فساد هـــذا النظام الغربى فى شطريه الراسمالى والماركسى وفساد القـــانون الوضعى وعجزه عن اسعاد المجتمعات الاسلامية .

سابعا : استطاع النفوذ الغربى أن يمزق وحدة المسلمين وان يقيم كيانات اقليمية وقومية منفصلة تحاول كل منها ان تخلق لهـــا تاريخا مستقلا ، وفى الوقت نفسه عزلها عن الفكر الاسلامى وعن الشريعة الاسلامية وبذلك تقطعت روابط الوحـــدة الاسلامية ، ووحدة الفكر الاسلامى .

ثامنا : المحاولة الخطيرة هى النيـــل من اللغة العربية واعلاء العاميات لانها لغة القرآن الكريم ولأن البيان العربى هو مصـــدر انتشار الفكرة الاسلامية وان محاولة اعلاء العاميات يرمى الى هدم هذه القـــوة القرآنية الزاحفة مطامعهم ان تدخل الفصحى المتحف ويقرأ القرآن بقاموس كما تقرأ الكتب المقدسة وكل محاولة ضد اللغة العربية وضد الأوزان العربية والشعر المقفى هى محاولة ضد القرآن والاسلام .

ان هناك محاولة لافساد الحضارات والأمم والمجتمعات :

من أجل نشر الربا تصدر الدعوة الى الاباحيات والقمار ولعب الليل ومن هنا تنتشر الدعوة الى افساد الاخلاق وتدمير المجتمعات واشاعة الانحلال الذى يمكن من دفع الناس الى الانفاق والاقتراض والرهن وضـــياع الثروات واقراض الدول ، والسيطرة على اقتصاديات الأمم من أجل هذا يشرف اليهود على اذاعـــة مفاهيم الوجودية والفرويدية ونظرية الفن للفن والاباحيـــات والكشف والجنس الذى تحفل به القصص والآداب الغربية ، وذلك عن طريق دفع المصانع الى انتاج الكماليات وادوات الزينة والترف وعوامل الفساد وتجارة المراقص والبغاء والمسارح والاباحيات بحيث تتقلص الثروات البشرية والخامات العالمية ويقع العلم فى دائرة الاسراف وفقدان الثمرات .

ومن أجل ذلك أنتشرت الدعوة الى عبادة الاجساد والتمتع باللذات والاسراف فى حب الحياة وما يتبع ذلك من جشع وحقـــد واستعلاء ونفور من الفقراء والضعفاء .

ومن ذلك الدعوة الى محاربة مفهوم الاسلام الجامع القائم على انه دين ودولة ، واصرارهم على مفهوم العلمانية وفرض ذلك على بعض الدول التى تخضع لنفوذهم ويأتى ذلك نتيجة قصور مفهوم المسلمين فى التفرقة بين المسيحية التى تفرق بين الدين والدولة والاسلام الذى يجمع بينهما ومن ذلك محاولة القضاء على مفهوم

الجهاد الاسلامى باشاعة مفهوم التسليم ، وذلك على اثر حركات الجهاد الاسلامى فى الجزائر وحرب رمضان حيث تحاول القوى الأجنبية طمس هذه التيارات وضرورة بقاء مفهوم الجهاد الاسلامى قائما فى وجه القوى المضادة والقضاء على السيطرة الأجنبية .

ومن ذلك محاولة طرح مفهوم وحدة الاديان والغاء الفوارق بينها ومحاولة القضاء على مفهـــوم (ذاتية الاسلام) الخاصـــة القائمة على ان دين التوحيد الخالص الان فى الارض والذى يختلف عن تفسيرات الأديان المختلفة التى انحرفت عن مفهوم التوحيد .

ومن ذلك القضاء على مفهوم الاسلام للحضارة من حيث انها تقوم على مفهوم جامع بين الفردية والجماعية وعدم الاستعلاء بالعنصر والجنس واللون ، وان تكون ثمرات العـــــلم للبشرية جميعا .

وعلى المسلمين ان يتعلموا من عبرة التاريخ البشرى وليس فى التاريخ البشرى الا تجربة واحدة مستمرة على مدى الاجيـــال ، تلك هى الخضوع لله تعالى ، أو الاعراض عنه فالمجتمعات التى قامت حضارتها واتسعت ونمت هى المجتمعات التى قامت على أساس الاذعان لارادة الله والايمان به ، فاذا اعرضت المجتمعات اصابتها سنة الازالة والابادة ، ومن ثم تحطمت الحضارات القديمة واحدة واحدة لانها فسدت حين أنحرفت عن سنن الله الحق الى الترف والفساد والزنا والربا والاباحية والبغاء . هنالك كان هلاكها هذه هى عبرة التاريخ البشرى كله ولا عبرة غيرها من التاريخ يمكن ان تؤخذ ، فالمسلمون مطالبون بالتماس سنن الله الحق والسير على طريقه المستقيم (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

ولا ريب ان الطـــريق الذى يســـير فيه المســـلمون الان وهم محاصرون بالتيارات اليهودية التلمودية من حيث تجاهلهم ارادة

الله تبارك وتعالى وقدرته وعطاءه واستسلامهم للنظريات المادية التي تتحدث عن الطبيعة وعن دورات الكون المنتظمة وكل هـذا خطأ فان الصانع فى الحقيقة هو الله ، وليس الطبيعة ، وان هذه الدورات المنتظمة لها حاكم عنده القدرة على تحطيم نظامها وتغيير طبيعتها متى شاء .

ولقد دخلت على المسلمين منذ اتصلوا بالفكر الغربى اخطاء كثيرة ومفـاهيم زائفة ، تسيطر الآن على مناهجهم الدراسـية والتعليمية والثقافية وتحاول ان تحتوى مفاهيمهم الاصلية القرآنية سواء فى مجال الاجتماع او الاخلاق او السياسة او الاقتصاد أو التربية فهم يعتمدون مقاييس الفلسفة المـادية فى تقـدير الأمـور وينسون مفهوم الاسلام الجامع بين المعنويات والماديات والذي يجعل للجوانب الروحية والمعنوية والنفسية قدرها الموازى بها السابق للمقادير المادية :

(وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)

فالايمان يرجح ميزان التقدير ازاء الماديات الزائدة التى فى الجانب الاخـر ، ومن اخطاء المسلمين فى مقايسة الامور اعتمـاد التفسير المادى للتاريخ وتغليب الجانب الاقتصادى على الجوانب الروحية والمعنوية وينسون قدر العقيدة الدينية فى ترجيح كفـة الأمور .

وفى مجال الاقتصاد ينحرف المسلمون الى مفاهيم الاقتصـاد السياسى الذى وضعه الربويون أصحاب امبراطـورية الربا على أساس السيطرة العالمية ، لهم على مقدرات الأمم والشعوب ، وهم يسلمون ثرواتهم ومقـدراتهم لتخضع لتيارات عالمية ظالمة ، بينما يستطيعون أن يمتلكوا أرادتهم وثرواتهم ويحركونها فى مجتمعهم بارادتهم الذاتية ويحققون بها المفهوم الاسلامى للاقتصاد من حيث نظرية الانفاق والزكاة والوجهة الصحيحة للكسب الحلال .

لم تكن (الفكرة القوميـــة) فى حقيقتها الا قطاعا من الفكـــرة الاسلامية الجامعة ، علا اسمها وتمسك بها العرب عندما تحطمت الوحدة الاسلامية وازيلت الخلافة وحل فى الدولة العثمانية قـــوم يريدون انتقـــاص اللغة العربية والأمة الاســـــلامية واحتقارها والاستعلاء عليها والقضاء على وجودها فى القضاء والتعليم ممـــا اطلق عليه « تتريك العناصر » ولقد كانت القومية أو العروبة فى الحقيقة هى الحلقة الثانية من حلقات الاجتماع الاسلامى وهى ثلاث حلقات هى الوطنية والقومية والاسلامية وهى حلقات مترابطـــة فالاسلام لا ينكر الارتباط بالوطن ولا بالقوم ولكنه يعطى هذا الوجود مفهوما اسلاميا جامعا يرفعه عن العنصرية والعصبية والاستعلاء بالدماء والاحساب الى حد انتقاص العناصر الأخرى فنحن جميعـــا مسلمون تشكلت عاطفتنا وثقافتنا وعقليتنا فى رحاب القـــرآن على أساس الاخوة والتعارف والحب والانفتاح ، غير أن الذين امسكوا بمقاليد هذه الفكرة ارادوا اخراجها من سيادتها ومن تكاملها ومن مفهومها الجامــــع فتحولت فى أيديهم الى عنصرية كاره للاخـــوة الاسلامية ، مستعل بتاريخ قديم لا قيمة له، ونحن منذ آمنا بالاسلام فقد انتهت تلك النزعات الجاهلية وحل محلها تقدير من الاســـلام للامم والشعوب ولا نرى بها بأسا شريطة ان لا تخرج عن الوحدة الاسلامية .

.. ولا ريب ان هذه الصورة من الموجة القومية التى عرفتها الأمم العربية والاسلامية فى العصر الحديث لا تمثل مفهوم الاســـــلام الصحيح ، فلا يقر الاسلام القول بان العروبة هى أساس الاسلام ولا يمكن أن ينصهر الاسلام فى العروبة على النحو الذى يقول به بعض المتعصبين ، كذلك فان الاسلام نفسه ليس دينـــا معارضا

للقومية شأن الأديان الأوربية ، بل ان الاسلام منهج حياة جامـع ومفهوم العروبة جزء من كيانه لا ينفصل وان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم كيان حقيقى ، فالاسلام هو الذى انشأ للعرب شخصيتهم ثم حفظها لهم كما حفظ لهم واعلى من شأن اللغة العربية فكان من شرف لسانهم العربى ان نزل به القرآن الكريم ونشأ فى خـلاله تراثهم الفكرى والعلمى والادبى ، ولولاه لفقدوا ذلك كله وبادوا كما بادت أمم وشعوب من قبلهم .

الاسلام كما يقول أحد الباحثين : كان وما زال شمس العرب التى بعثت فيهم الدفء والحرارة والحياة وهو ينبوع عزتهم وكرامتهم وقوتهم وجامع ارواحهم وقلوبهم وعقولهم ففى ظله قامت لهم دولة عربية اسلامية عظمى وعلا منار حضارة عربية اسلامية كانت كوكب الهدى فى العصور الوسطى ومن انوارها قبست أوربا من بذورها فنبتت الحضارة الاوربية المعاصرة .

ومن لا يفهم اللغة العربية لا يفهم الاســلام الفهم الصحيح والعروبة بغير الاسلام لفظ بلا معنى والعرب بدونه جثمان هامد فكلاهما مكمل للاخر ومتمم له ويحتاج الى الآخر كما يحتاج اللفظ الى المعنى والشكل الى المضمون ولا تناقض ولا تباين بين العـروبة والاسلام ، فالعروبة تعنى الهوية القوية والبطاقة الشخصية للامة العربية ولذلك تحتاج الأمة العربية فى حياتها الى العروبة لتبرز هويتها القومية وتنطلق بلسانها وتحتاج الى الاســلام الحنيف لتستضىء بنوره وتسير على هداه وسننه وتأخذ بشريعته ونظـامه وتتخذه منهجا ودستوراً لها . ولم يلغ الاسلام القومية وانما هذبها ونظمها ونقاها من التعصب القومى الأعمى ونفى عنهـا التعصب العرقى والتمييز العنصرى .

ويتألف النسيج القومى لأى أمة ودولة من لغة قومية واحـدة وجنسية واحدة وتاريخ واحد ووطن واحد وأرض مشتركة وثقافة واحدة ومصلحة عامة مشتركة وتماثل فى العادات والتقاليد . اما

الاسلام فانه شريعة ربانية ونظام سماوى وقانون الهى ودستور حياة واداب وكل امة تحتاج فى حياتها الى ذلك لتنهض وتتقـــدم وفى النازلات لا تستطيع الأمم ان تنهض الا لعقيدتها التى تمــدها بالقوة والتى تقدم لها منهج المقاومة والجهاد والنصر ، وقد فعــل المسلمون ذلك ابان طغيان الصليبيين والمغول والاستعمار الغربى المعاصر ، ولن يقدر لهم أن يسحقوا الغزو الصهيونى الذى يجثم على صدورهم ويلتف حول اعناقهم ويسيطر على القدس وفلسطين ويزحف عليهم ما لم يعتصموا بحبل الله جميعا ويتسلحوا بســلاح العقيدة الاسلامية والعلم الحديث .

والواقع أن الفكرة العربية لم تكن هدفا نهائيا لاهلها ، ولم تكن مفرغة من مفهومها الاسلامى الجامع عندما اتخذها العرب وسيلة للوحدة الصغيرة على طريق الوحدة الكبرى ، لقــد جاءت بعد ان سقطت الوحدة الاسلامية وكانت فى نظر القائلين بها مرحلة تجمع فى سبيل الوصول الى الجامعة الاسلاميــة فان الذين حاولوا ان يجعلوها هدفا ، وعقيدة ودينا كانوا ظالمين ، وشعوبين ، وحضاريين لطبيعة الأشياء ولرغبات اهل البلاد انفسهم ، ذلك ان فكرةالوحدة قد قامت اســاســا على وحدة الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية والنفسية وهذه لا يمكن ان تتيسر فى ظل فكرة اخرى جزئيةكالفكرة العربية ولكن النفوذ الأجنبى كان يعمل على تفريغ الفكرة العربية من مضمونها الاسلامى اساسا ليجعلها اشبه بمفهوم القوميـــة الغربية الوافــد ، الذى يقــوم على الصراع وعلى الدماء وعلى الاستعلاء بالجنس والعنصر .

ولقد ثبت بعد ذلك مدى فشل الجهد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية بمفهوم غربى ، وفساده لانه لم يبدأ من طريق الاصالة ولقد ظن كثيرون ان الوحدة العربية غاية بينمـــا هى فى الحقيقة مرحلة على الطريق : على طريق الوحدة الاسلامية ومن ثم فقد كانت كل المحاولات التى قادها وما زالوا يقودونها معوقا لهذه الوحدة عن ان تتخذ طريقها الصحيح .

الاسلام فى الغرب يجرى الى غايته ، التى ارادها الله تبارك وتعالى لها ، منذ سنوات عاد الى اقتحام أوربا باعداد ضخمة وفى كل قطر من اقطار العالم يتحرك اليوم كالجنين فى بطن العالم ، كان كلمة على لسان منصف ، وتقديرا من عالم ازاء غبن شديد ومؤامرة صمت طويلة حاولت اوربا خلالها أنتقول بانها لم تأخذ من المسلمين شيئا ، وان دين المسلمين صحراوى ، الى غير هـــذا من الظلم والحقد والتعصب الذى بلغ غايته ولكن الحقيقة لابد أن تظهر ولابد للشمس أن تطلع فتكشف كل مغالطات الظلام ، ومن هنا ظهر أولئك الابرار الذين اعترفوا للاسلام بفضله وتكشف ان العـــائدين من الحروب الصليبية قالوا : لقد وجدنا من المسلمين الرحمـــة فطويت صفحتهم ، وبعد سنوات من كتابات المبشرين المتعصبة ضد النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن والاســـلام ، عادت الأقلام تتحدث فى تحفظ وسرت كلمـــــة الله الى قلوب فى الغرب ضـــاقت بالتثليث والخطيئة والصلب ، واشتاقت الى ان تعرف كلمة التوحيدالخالص ثم هاجرت تلك المجموعات من المسلمين الى الغرب ليقيموا مجتمعهم الجديد فى قلب الحضارة المادية واصبح الاسلام فى الغرب قضية ، مجتمع جديد يتشكل ويطالب بحقه فى اقامة شعائر دينه وتربية أولاده تربية اســـلامية ، ولفت ذلك نظر الغربيين فتطلعوا الى هذا الشىء الذى حاولت القوى الغربية والكنيسة واليهودية ان تردهم عنه ، فوجدوا فيه راحة انفسهم وسعادة قلوبهم ، واليوم يتحول الغربيون الى الاسلام فى القارات الثلاث (امريكا ـــ أوربا ـــ استراليـــا) بأعداد ضـــــخمة لأنهم كما يقول محمـــد عبد المنعم يجـــدون فيه

اختيارا قابلا للتطبيق ولهداية الحياة الانسانية واذا بحثنا فى أعماقهم عن أرواحهم وعقولهم نجد ان الكنيسة المسيحية التى انتموا اليها ذات يوم قد خذلتهم واصبحت عاجزة عن ان تعـــود بحياتهم الى الاخلاق والقيم ، ونجد ان المدنية الامريكية والعقيدة السائدة هناك وهى (العلمانية) قد حرمتهم من الملاذ والملجأ الذى يمكن ان يرجعوا اليه عندما تدهمهم المشاكل والمشاكل كثيرة هناك واغلب المشاكل تتعلق بالفراغ النفسى والخواء الروحى بخلو الحياة الانسانية من اى معنى . ومعظم المسلمين هنا من الناس الذين عانوا من مشكلات الفقر والظلم الاجتماعى البشع ولم يستطيعوا أن يجدو اى علاج أو اهتمام من اى مصدر سواء كان دينيا أو اجتماعيا ولذلك تحولوا الى الاسلام لانهم وجدوا فيه عقيدة يمكن ان تصلح حيـــاتهم وان تخرجهم من الاخلاقيات والمشاكل التى يواجهونها ووجدوا فى القيم الاسلامية العدل الاجتماعى الذى يتوقون اليه والذى لم تســتطع المدينة الأمريكية ان تحققه لهـــم واذا كانت هـــذه الحقيقـــة تنطبق تماما على المسلمين الامريكيين من الاصول الأفريقية (السود) فانها تنطبق أيضا على الامريكيين البيض ومن بين البيض فان نســـبة النساء اللائى يسلمن اكثر من نســـــبة الرجال لأكثر من سبب باحتكاكهن فى الجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية بالطلبـــة المسلمين يتعرفون على الاسلام ويجدون فيه ما يشدهن اليه وينتهى الامر بمعظمهن من الزواج من مسلمين وافدين أو مهاجرين وكثير من النساء الأمريكيات اللائى اعتنقن الاسلام انما فعلن ذلك لانهن وجدن فى الدين الاسلامى ما يحفظ كرامة المراة ويكرم أنوثتها التى أهدرتها الحياة الأمريكية المادية يعلن أن المراة فى هذا المجتمع الأمريكى الذى يدعى التقدم ما هى الا دمية لمتعة الرجل ولاستغلال جسدها وفتنتها وعريها فى الدعاية وفى الافلام لتكون وسيلة لترويج السلع والربح وتعلن ان علاقة الرجل بالمراة فى المجتمع الأمريكى حولت المراة الى آلة لمتعة الرجل .

وهكذا فنحن نجد ان الاسلام يشق طريقه فى دول الغرب ، كما يشق طريقه فى قلب أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، وهو يواجه فى هذا صراعا شديدا من قوى استعمارية ذات نفوذ تحاول أن تخدع الفقراء والضعفاء لتحولهم عن دينهم ، أو تحول بينهم وبين الاسلام ، وما يزال الاسلام الأعزل الفقير ، قادرا بذاتيته وبساطته على غزو القلوب وعلى اقتحام المجتمعات والأمم ، التى فسدت وأصابها العطب وعلت فيها مفاهيم الظلم والاباحة وقد وجدت الامم أن الايدلوجيات الديمقراطية الراسمالية والاشتراكية الشيوعية لم تحقق شيئا ولم تقم مجتمعا يسعد الناس ، فولوا وجوههم شطر الاسلام الذى تقف القوى العالمية كلها ضده ، وتخوف الناس منه ، ليروا وقد جاءت الحقيقة على السنة علماء وخبراء وفلاسفة ، من الغرب نفسه تدحض دعاوى الغرب وتكشف فساد الفكر الغربى واضطرابه وعجزه عن تقديم النموذج الاجتماعى الصالح .

وفى العقود الأخيرة رأينا تلك الظواهر الواضحة التى تؤكد انتصار الاسلام فى النهاية :

أولا : كتابات من اللاهوتية الغربية تكشف عن فساد الكتب المقدسة الكريمة وانها بشرية وأن سيدنا المسيح هو نبى وليس الها .

ثانيا : كتابات تصدق ما جاء فى القرآن ومغريات تؤيد ما جاء به وحقائق علمية سبق لها القرآن قبل أربعة عشر قرنا .

ثالثا : دراسات من باحثين تكشف فساد الحضارة الغربية لقيامها على المذهب المادى وشكوك جديدة فى النظريات التى طرحت منذ سنوات وتبين فسادها ، نظرية التحليل النفسى ، الوجودية .

رابعا : مطالبة ملحة من المجتمع الغربى لمنهج اقتصادى جديد يحل بديلا للماركسية والراسمالية بعد أن ثبت فشلهما وعجزهما خلال خمسمائة سنة عن تحقيق منام المجتمع الكريم .

روى الامام احمد فى مسنده عن تميم الدارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر أما الذين يعــزهم الله فيجعلهم من اهلهــا وأما الذين يذلهــم الله فيدينون لها » .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

* * *

مجموعة من التناقضات والأخطاء تصاول الفكر الاســلامى وتعوق مسيرته فهى بمثابة السدود العالية والفجوات العميقة التى تحول دون انطلاق الفارس المسلم فى جولته خلال حلبة السباق .

(أولا) : معاهدنا تدرس العلم الذى ينكر الله تبارك وتعــالى والفلسفة التى ترفض الاعتراف بوجود الاله والعلوم الاجتماعية التى لا تؤمن بالخالق .

(ثانيا) : معاهدنا لا تدرس التربية الخلقية الاســلامية التطبيقية سواء فى ميدان الحرب أو السلم أو النظام ومن يستطيع أن يحمى أمن الوطن فى الداخل والخارج رجال لا يؤمنون بالله ولا يخافونه ولا يخشون عقابه .

(ثالثا) : مدارسنا ما تزال تدرس تاريخنا بمفهوم قومى أو اقليمى أو بتفسير مادى للتاريخ ونحن فى ذلك خاضعون للمناهــج الغــربية .

(رابعا) : ما نزال خاضعين للمناهج الاقتصــادية الغربية الربوية فى العمــل ، وعلوم الاقتصاد الســياسى والتحليل النفسى والعلوم الاجتماعية التى وضعها اليهود لتدمير الوجــود الانسانى الحقيقى فى المدرسة .

(خامسا) : ما زلنا نحاكم أدبنا العربى ولغتنا العربية وثقافتنا وتراثنا الى مقاييس موضوعة للغرب الذى يصدر فى أدبه وثقافته وتراثه عن المســيحية واليهــودية فى الدين من ناحيــة وعن اليونانية والرومانية فى الحضارة من ناحية أخرى .

(**سادسا**) : ما زلنا نخضع فى مجال الفـن والمسرح والغناء لمفاهيم وافدة لا تمثل مجتمعنـا فى حقيقته ولا تحفظ لنـا اعراضنا وشرفنا وكرامة بيوتنا وبناتنا .

كل هذه القيود الضخمة التى تكبل مجتمعنا الاسلامى والتى لم تستطيع حتى الآن بالرغم من تحررنا من النفـوذ السـياسى والعسكرى للغرب ، ما نزال خاضعين لها . تتطلب منا مواجهـة حقيقية . ان نهوض المسلمين وتقدمهم والخروج من مرحلة التحقق مرهون الى حد بعيد باعادة فهمهم للاسلام والعودة الى المنابع .

وأبرز المفاهيم الأساسية هى العودة الى النظرة الاسـلامية الجامعة للحياة ، والخروج من محاذير الانشطارية الغـربية ، فالانسان فى جمعه بين قبضة الطين ونفخة الروح قـد أعطى للحياة ناقوسها الحقيقى الذى لا يتخلف ونظرتها الأساسية التى لا تتغير وهو الجمع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخـرة .

هذه واحدة والأخرى هى التماس منهجنا الاصيل فى مواجهة امرين خطيرين نحن اليوم منهما فى خطر شـديد : مسألة الغزوة الصهيونية ومسألة بناء المجتمع .

ولقد حاولنا وحاول التغريبيون مخادعين لنا ان الطريق مع الحضارة الغربية هو الذى يحقق لنا التحرر من النفوذ الأجنبى وبناء الحضارة ، وقدم لنا جماعة منهم . المنهج الليبرالى الغربى فلمـا فشل قدم لنا جماعة أخرى المنهج الاشتراكى الماركسى ، وقد فشل أيضا واليوم تعلو الضجة .

لماذا لا تجربون منهجكم الأصيل الذى بنيت عليه حضـارتهم خلال اربعة عشر قرنا ، هـذا المنهـج الربانى المرن القابل للتجديد والتغيير فى اطار ثوابته الأصيلة ، وهى خاصية عجـزت عنها الأيدلوجيات ، فضلا عن تجربته خلال الغاشية فى اضاءة العالم كله ما تزال بين ايدينا حيث قدم للبشرية المنهـج التجريبى الاسلامى

ومنهج المعرفة ذى الجناحين وقدم لها التوحيد والأخلاقية والمسئولية الفردية والجزاء الاخروى .

ان التماس منهج الاســـــلام لا يعنى رجعية ولا تخلف ولا التماسا القديم ، ولا ولعا بالتراث فالاسلام ليس تراثا وليس قديما على النحو الذى يفهم به القديم والتراث فى الغرب ، بل هو المنهج الربانى الأصيل الذى وضعه الحق تبارك وتعالى للبشرية الى ان يرث الأرض ومن عليها ، وجعله صالحا لكل العصور والبيئات بما فيه من مرونة وسعة أفق ، أما الايدلوجيات الحديثة فهى تتضارب ولا تستطيع متابعة متغيرات الكون والمجتمع لأنها تقوم على نظرة محدودة من خلال قطر أو عنصر ، ولذلك فهى تحتاج الى التطوير بالاضافة والحذف ، وليس كذلك الاسلام .

كذلك ففى مواجهة التخلف : يكون التقدم فما هو مفهوم التقدم الذى يدعو الاسلام اليه ، هل هو التقدم المادى فحسب ، ليس الأمر كذلك ، ولكنه التقدم الجـــامع (معنويا وماديا) وان الحفاظ على الذاتية الاسلامية مقدم على التقدم نفسه القاعدة اننا لا نأخذ من الغـــرب نظما ولا أســـلوبا للعيش فلدينا نظامنا واســـلوبنا وكل ما نأخذه من أساليب أو أفكار انما نأخذه بوصفه مواد خام نشكلها كيفما نشاء ونصهرها فى بوتقة فكرنا وحضارتنا ولغتنا ولن تقوم حضارة الاسلام المتجددة ألا فى هذا الاطار لتكون حضـــارة ربانية للانسان فى كل مكان ، حضارة رحم واخاء بشرى ، وعدل وسلام ومفهومنا واضح اننا لا ننكر لجذورنا العقيدية والتاريخية والثقافية أبدا ولا نتبع الناعقين ، فان الغرب حين أخذ الحضارة الاسلامية لم يتنكر لجذوره الوثنية فكيف بنا ، وإن منطلقنا الحقيقى هو منطلق فكرنا الاسلامى الأصيل بالتماس منابعه وهو مأخذ لنا أبدا وفى كل أزمة من أزماتنا السابقة كان يهدينا الى النصر ولن ننتصر فى أزمتنا الحالية الا به وعن طريقه وبأســـلوبه الربانى القرآنى والله ولى التوفيـــق .

ما هى النتائج التى وصلنا اليها بعد مرور ثلاثة أعوام على مطالع القرن الخامس عشر بالنسبة للصحوة الاسلامية : الحقيقة ان هناك نتائج كثيرة وهامة .

أولهـــا : انه تأكد لنا نحـــن المســـلمين اننا لا نســـتطيع أن ننهض الا من خلال مفهومنا الأصيل للاسلام فهو وحده القادر على اعطائنا مقومات التمكين فى الأرض والنصر ومقاومة الأخطار والقضاء على النفوذ الأجنبى .

ثانيا : انه تأكد لنا ان النفوذ الغربى الذى يحيط بالمسلمين احاطة السوار بالمعصم انما يرغب فى القضاء على ذاتيتنا واذابتنا فى بوتقة الفكر الغربى العالمى أو ما يسمى الأممية ، وبذلك تضيع تلك الميزة التى منحنا اياها القرآن الكريم والتى هى مصدر قوتنا وأمانة ربنا فى سبيل تبليغ رسالة الله تبارك وتعالى للعالمين واقامة المجتمع الربانى .

ثانيا : تأكد لنا نحن المسلمين من تجربة سيطرة النفوذ الغربى على بلادنا مدى ثلاثة قرون أن الايدلوجيـــات الغربية الواحدة والمفاهيم الغربية فى مجال الاجتماع والأخلاق والتربية والاقتصاد والسياسة لم تحقق لنا المطامح التى كنا نتطلع اليها فى الخروج من أزمة التخلف ذلك لأن مقاييس الغرب وأســـلوب عيشه ومناهج معالجته للأمـــور تختلف تماما عن منهج العيش الاسلامى وعن الأسلوب القرآنى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد فشلت التجربة للايدلوجيتين : الليبرالية والماركسية وتبين

عجز القانون الوضعى الذى طبقناه فى مجتمعنا خلال اكثر من مائة عام عن تطهير مجتمعنا من السرقة والرشوة والجريمة والزنا والربا .

رابعا : يتبين لنا ان الخلاف بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى واسع وعميق ، لأن كلا منهما يصدر عن عقيدة لها تاريخها ومقوماتها التى تختلف عن تاريخ الأخرى ومقوماتها وخصوصا فى مسائل التوحيد والعدل الاجتماعى والتفاهم بين الأمم .

خامسا : تقوم المناهج الرأسمالية الغربية على اعلاء شأن الفرد وتضحية الجماعة بينما تقوم المفاهيم الاشتراكية على اعلاء شأن الجماعة وتضحية الفردية بينما يقوم الاسلام على التكامل بين الجماعة والفرد والجماعة دون تضحية بأحدهما فى سبيل الآخر ، ولا يقبل الاسلام مفهوم بعض الفلسفات الغربية فى القضاء على الفقير والمريض ولكن يجعل لهما فى نظامه مكانا حصينا .

سادسا : يتميز المفهوم الاسلامى للعلم والحضارة انه يستمد مصدره الأول ومنطلقه الأول من الله تبارك وتعالى ويرى ان نهاية الأمور تعود اليه سبحانه ، فهو لا يقول بالطبيعة ولا بالقوانين الجبرية ولكنه يقول بقدرة الله تبارك وتعالى وارادة الانسان الفردية والتزامه الأخلاقى وايمانه بالبعث والجزاء على عمله فى الدنيا .

سابعا : لا يضحى الاسلام بالأخلاقى فى سبيل الجمالى ولا يضحى بالمعنوى فى التقدم فى سبيل المادى ويؤمن بالتوازن بين القيم والجمع بين الروح والمادة .

يقول الدكتور رشدى فكار : ان الاسلام هو البديل لحضارة بلا قلب لقد انبعث الاسلام كتيار كونى فرض عليه أن يواجه نظريات وضعية تسود العالم الآن ، والذى لا شك فيه ان الغلبة ستكون

للاسلام بمثله وقيمه ونظرياته . اننا نعيش فى ظل حضـــارة مادية بلا قلب ولا عاطفة ولا مشـــاعر أو روط ، ولا بد من بديل لهــذه الحضارة ولا بديل لها يأخذ بطيباتها ويستبعد شيئا منها ويستكمل ما قبلها من نقص سوى الاسلام . ان التيار المادى يعمل على ضرب التيار الروحى والدينى وقد حدث ذلك مرات غير مسيرة الحيـــاة الحديثة فى الغـــرب . جاءت حضـــارة الغـــرب بشقيها الليبرالى والماركسى المتســـلطة حاليـــا على الكون كرد فعـــل انطلق فى البداية كتحفظ للحد من التيار الروحى ليتحول الى نقد لهذا التيار وتحول النقد الى تنفيذ واعتراض ورفض ليطرح فى القرن التاسع عشر البدائل فى شكل مدارس وضـــعية تطورية أو درارونية أو ماركسية واســـتمر المسلسل حتى البنوية الوضعية وكلها مدارس جاءت كبدائل متمركزة حول حوار الانسان بدلا من حوار السماء ، ولا يمكن أن ننكر ما اعطته الحضـــارة الغربية بشقيها اراء مظهر الانسان الغربى ورفاهيته ورجائه .

هكذا نجد أن حضارة الغرب اغرقت عن طريق الفطرة والعلم والأصالة فعجزت عن العطاء الحقيقى للانسان وان كانت قد أعطت فى مجال المادة فان الحضارة ليست مادية حرفة ولكن الحضارة هى فى مفهوم الاســـلام تحرير الانسان من العبودية للمادة ، للصنم ، للانســـان .

وهى فى معنى أعمق واوسع واكمل : اسلام الوجه لله .

❊ ❊ ❊

اذا كان للاسلام معجزة كبرى : فانها هذه المعجزة هى الفقه الاسلامى الذى أعطى البشرية ذلك الضـــياء الساطع المستمد من الشريعة الاسلامية الذى قدمته تلك العقول النافذة والقلوب المؤمنة من أمثال مالك وابن حنبل وأبى حنيفة والشافعى وكثيرين ما تزال تنكشف آثار هــذا الفقه فى الفكر الغربى من نظــريات الشاطبى وابن القيم .

وقد لفت الفقه الاسلامى نظر كبار رجال القانون فى الغرب بما وجدوا فيه من عطاء واســـع وثروة عظيمـــة ، غطت على كل محاولاتهم واجتهاداتهم الشخصية . ومن خلال مؤتمرات متصــلة عقدت فى باريس ولندن واثينا ولاهاى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٧ ، ١٠٥٠ ، ١٩٥١ قرر العلماء أسبقية هــذا الفقه وفضله وعطاءه ، وأعلنوا أن هذا الفقه الاسلامى مستقل عن الفقه الرومانى ومتميز عليه بطابعه الربانى وعطائه الواسع وقدرته على وضع الحدود أمام الجريمة قبل وقوعها وليس انتظار معاقبتها بعد وقوعها .

وقد كشفت الأبحاث عما توصل اليه الامام ابن القيم حين قدم

١ ــ نظرية المنفعة فى أعمال الفضولى .

٢ ــ مبدأ حرية التعاقد .

٣ ــ مبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفسخ عقود الديون المضرة .

٤ ــ مبدأ تغيير الأحكام بتغيير الأمكنة والأحوال .

وما كشف عنه عمر لطفى فى دراسته عن حرمة المنازل .

وما كشفه الدكتور محمد فتحى عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق .

وما توصل اليه الامام الشاطبى من نظرية التعسف فى استعمال الحقوق .

هذا بالاضافة الى الثروة الحافلة التى تضمها مؤلفات الماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم فى الفقه السياسى والفقه الاجتماعى والامامة والولاية والعقد السياسى .

وفى السنوات الأخيرة تكونت فى باريس جمعية أصدقاء (الشيبانى) رائد القانون الدولى .

وقد كشفت آثار مذهب مالك فى الفقه الفرنسى وتحدث لامبير عن الشريعة الاسلامية وآثرها فى الغرب كما تحدث عنها جوستاف لوبون وكثيرون .

ولقد اثبتت الأبحاث أن القانون الرومانى الحديث فى أوربا قد أخذ من الفقه الاسلامى ومن مذهب مالك وغيره ابان الحملة الفرنسية على مصر وعلى الجزائر .

واشار الشيخ مصطفى عبد الرازق أن كتاب علم أصول الفقه للشافعى هو حجر الأساس فى بناء الفكر الاسلامى ، كما أشار ابن حنبل الى وقفة الصمود فى وجه الفكر اليونانى الذى أخذت منه المعتزلة فى خلق القرآن وأشاروا الى ارجانون اللغة العربية المخالف لارجانون اللغة اليونانية وان مقام الشافعى فى الفكر الاسلامى هو مقام أرسطو .

ولقد واجه الامام ابن تيمية « منطق » ارسطو وكشف زيفه وابان عن منطق القرآن الذى قامت عليه العلوم التجريبية الحديثة .

وقد ابان الامام الغالى عن الفرق بين علم الكلام وبين القرآن ،

وقال ان علم الكلام دواء لمريض ، وان القرآن ماء للمريض والسليم وكشفت الأبحاث ان نظرية الشك التى أقام عليها ديكارت رسالته فى المنهج مأخوذة من الامام الغزالى ومن كتابه (المنقذ من الضلال)

كذلك فقد كتب جابر بن حيان وابن الهيثم والبيرونى اصــــول منهج التجريب الاسلامى .

وكتب ابن خلدون ثلاث علوم كان منها رائدا للفكر الانسانى :

علم أصول الاجتماع ، علم التاريخ ، علم الاقتصاد .

وقد استمدها جميعها من القرآن الكريم .

وما يزال التراث الاسلامى (٣٠٠ الف مجلد) الموجـــــود فى مكتبات الغرب يضم الكثير من معطيات الاسلام التى انتفعت بهــا الحضارة الغربية والتى لم يكشف عنها بعد والتى سوف يحــدث الكشف عنها تغييرا كبيرا فى كتابة تاريخ الفكر الاســـــلامى واثره العالمى .

ويقوم بهذا الدور اليوم علماء كثيرون وفى مقدمتهم الدكتور فؤاد شرسكين المسلم التركى .

وكما نقل الحق تبارك وتعالى العلوم الاسلامية الى الاندلس لتصل الى أوربا وتنشىء هذه الحضارة الحديثة ، كذلك فقد نقــل هذا التراث الاسلامى الضخم الموجود فى مكتباتها ليكون عاملا هاما فى تطوير العلوم والقوانين والأنظمة .

ومن حقنا اليوم أن نمتلك ارادة الحضارة العلمية والعـــلوم الحديثة وأن نحولها الى اطار الفكر الاسلامى واللغة العربية حتى تستأنف الحضارة الاسلامية (حضارة التوحيد) نهضتها خلال القرن الخامس عشر وبناء المنهج الاســلامى مــرة أخــرى القائم على التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشرى .

ولا بد أن تنصهر العلوم الاسلامية وتتحرك الحضارة الاسلامية فى اطار الاسلام بمفهومه الربانى المصــدر ، وبالمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى والجزاء الاخروى لبناء المجتمع الربانى الذى سوف يسيطر على العالم ويقود البشرية قرونا طويلة قادمة بعــد ان انهارت تجربة الحضـــارة الغربية بشـــقيها فى الايدلوجيتين الرأسمالية والشيوعية وقد اعطاهما الله تبارك وتعالى خمســة قرون كاملة ثبت فى خلالها فشلهما وعجزهما عن اعطاء الانسان أشواق الروح وبذلك انفتح الطريق امام نور الاسلام الى الغرب والعالم جميعا .

* * *

ثلاث قـــوى لابد من تحريرها من النفـــوذ الأجنبى ولا بد من اسلمتها حتى يكون المجتمع الاسلامى على طريق الله تبارك وتعالى: (التعليم والثقافة والصحافة) .

اما التعليم فانه مصدر الخطر كله ومصدر البلاء الذى أصاب المسلمين فى العصر الحديث عندما انفصل التعليم المدنى عن التعليم الاسلامى وخضع لنفوذ الارساليات والاستعمار ومـــذاهب ديوى والعلمانية ورفعت منه اقوى عناصره : مفهوم الاسلام الجامـــع (دينا ودولة) الالتزام الاخلاقى ، بطولة المسلمين فى الســـــلم والحـــرب وقد حلت محلها مفاهيم زائفة منها زخارف الحضـــارة وتاريخ ابطال الغرب وتأسيس دور زائف لهم فى الكشف عن البلاد الأفريقية أو بطولات امثال (طرزان) وغيره التى تصور الرجـــل الغربى الابيض فى صورة القائد الذى لا يقهر بينما ينقهر ويستسلم له الافارقة والشرقيون .

ولقد كان تغيير أصول القيم الاساسية للتربية الاسلامية وعدم ربط التعليم بالتربية والتساهل فى تحفيظ القرآن واداء الصـــلاة وربط العقائد بالأوضاع العملية فى المدارس من الاسباب التى خلقت روح الاستهانة فى نفوس شبابنا فاحس بانها لاقيمـــة لها ومن ثم انصرف عنها الى وسائل التسلية الهابطة ، ومن ثم تغرب فـــكره وقلبه وفرغ تماما من الايمان بالله ومن الاعتماد عليه فضلا عن أن كثيرا من مناهج التعليم تخضع للنظرية الغربية المادية فهى لا تتحدث أبدا عن عطاء الله للبشرية أو قـــــدرة الله على تغيير النواميس الطبيعية وتتحدث دائما عن الطبيعة وتعلى من شـــأن المخترعات الحديثة ولو عرفت لعلمت ان الله تبارك وتعالى هو الذى عـــلم

الانسان وفتح له ابواب المعرفة وهو الصانع والمنشىء الحقيقى لكل ما بين ايدى الناس من معطيات .

أما بالنسبة للثقافة فقد انفصلت الثقافة عن الفكر الاسلامى وغامرت بعيداً فى مترجمات فاسدة من القصص ومن الفكر المادى فانقطعت عن مفهوم الاسلام الأصيل الجامع بين القيم والذى يضع للثقافة أساسها المكين من التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشرى ، والذى يجمع بين الروح والمادة ويقيم قاعدته على أساس المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى والجزاء الاخروى وقد دخلت على الثقافة الاسلامية محاذير كثيرة منها الفلسفات المادية ، ومفاهيم التصوف الفلسفى ونظريات النفس والاجتماع والاخلاق التى ظهرت فى ظل سيطرة الفلسفة الغربية التلمودية ، كما ظهرت نظريات الكشف والجنس والاباحة بمبررات ظالمة ترمى الى اذاعة الفاحشة ، والتركيز على الرواية الخيالية الخادعة وهذا مما لايتفق مع مفهوم الاسلام الذى يقوم على أساس الواقع ويقبل الواقع والتعامل معه لاصلاحه وتغييره اذا كان فاسدا ومن اخطر الظواهر سيطرة المفهوم المادى على الأدب العربى الحديث حيث يحاكم لنظريات تين وبرونيير التى ترى ان الانسان حيوان ولا تجعل للانسان كيانا روحيا أو معنويا ، وهناك ظاهرة سيطرة القصاصين على الحياة الفكرية الحديثة مع انهم لا يملكون أدوات هذا العمل من امثال توفيق الحكيم ويوسف ادريس واحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ .

وتغلب على الثقافة الاسلامية العربية اليوم نظريتان فاسدتان : نظرية القومية التى تحاول أن تجعل العروبة مقدمة على الاسلام والتى تفسر التاريخ الاسلامى تفسيرا قوميا وهى نظرية شعوبية خطيرة الأثر هادفة الى القضاء على الصحوة الاسلامية وتدميرها ، وهناك نظرية التفسير الماركسى للتاريخ والحياة وهى نظرية تحاول ان تشهر مقوماتها من شطائر متفرقة تختطفها من هنا وهناك وخاصة

فى مسألة المرأة ، من كتابات للشيخ محمد عبده وغيره وهى تفسيرات كتبت لوقتها ولم تعد صالحة لمواجهة عصر آخر له متغيراته .

أما الصحافة فانها تسيطر عليها الآن : العلمانية والهوى والتبعية الغربية ، ومحاولة العمل لاخضاع المجتمعات للتيارات الاباحية والمادية والجنسية ومن ثم فهى تعمل دائما على طريق هدم الأخلاقيات والقيم واثارة الشبهات حول الحقائق التى طرحها الدين الحق ، والجرأة على الله تبارك وتعالى ، وعلى القيم الأساسية كالخير والرحمة والاخلاق .

واننا لنتطلع ان تعمل المجلات الاسلامية على سد هذا الفراغ الشديد ومواجهة هذه الشبهات ودحضها ، والعمل على نشر التربية الاسلامية فى البيت بالقدوة من الأبوة والأمومة لتفتح الطريق للقدوة الاخرى فى المدرسة والشارع ، فاذا تركزت معانى الاخلاق والايمان فى نفوس الشباب من أب يرعى ويوجه بالحب والمتابعة والقدوة وأم تقوم وتوجه وتعطى الحنان لفتح الطريق امام جيل مسلم كريم يحمل امانة الغد ، كذلك فان من مهمة الصحافة الاسلامية فى مواجهة اخطار الصحافة غير الملتزمة ، حماية المجتمع والاسرة من الفساد المنتشر فى المسرح والسينما (قصص الجنس والجريمة) ورعاية القيم وحماية الأمومة ، والتماس المرأة المسلمة لمهمتها الكبرى والأولى وهى رعاية الاجيال الجديدة والا يكون عملها من اجل زخارف خادعة ، واذا كانت صيحة العودة الى البيت قد بدات فعلا فى الأوساط العصرية ايمانا بأن الحياة الاجتماعية فى داخل الأسرة أحق بالعناية والرعاية والتوفر عليها فان على الصحافة الاسلامية أن تنصح خالصة لوجه الله تبارك وتعالى فى رد عاديات المطروحات الأجنبية الوافدة التى ترمى الى تدمير المجتمع الاسلامى وان تعلم أن شبابنا هو عدة ألوطن والدين وان هناك محاولات ومؤامرات ترمى الى تفريغه من الدين والاخلاق حتى تكون ساحة الوطن مكشوفة للغزو الأجنبى الذى يحاول أن يجد منافذ عن طريق « التغريب والتبشير والاستشراق » .

محاذير ثلاثة فى رحلة الثقافات الاسلامية العالمية :

الأولى : تعلم اللغات ، الثانية : الترجمة ، الثالثة : البعثات الى الخارج .

أما تعلم اللغات فهو أمر ضرورى يحث عليه الاسلام ويدعو اليه ولكن له ضوابط هامة وخطيرة وهى أن يكون تعلم اللغات الأجنبية فى دائرة اللغة العربية ولخدمة فكرها الاسلامى ايمانا بأنها اعظم اللغات لأنها لغة القرآن الكريم ، اما الدعوة الى فتح الباب لتعلم اللغات كما يدعو اليه لويس عوض وسلامة موسى وغيرهما فانه يرمى الى اخراج المسلمين من دائرة فكرهم وان يصبغ العقل العربى الاسلامى بصبغة اللغات الأجنبية وهو يستهدف التقاط المسلمين والعرب القليلى الثقافة الضعيفى الغيرة الذين لا يعرفون مكانة اللغة العربية الحقيقة وانها جزء من الاسلام كما قال الامام الشافعى وان نزول القرآن بها قد أعطاها مكانة لا يتسامى اليها لغة أخرى وان كل ما يقال فى علم اللغات من تطوير اللغة أو نقلها الى المتاحف انما ينطبق على كل لغة فى العالم ما عدا اللغة العربية التى حفظها القرآن من هذه المحاولات التى تمت للغة اللاتينية حين تفرعت عنها عاميات الانجليزية والفرنسية ثم اصبحت بعد لغات وهى نفس الدعوة التى دعا ويلكوكس اليها المصريين منذ قرن من الزمان حين قال لهم انهم اذا لم يكتبوا بالعامية ويدرسوا بها العلوم فلن يدخلوا عصر الحضارة ، كذلك فان كل ما يدرس من علوم اللغة مما عرفه الغربيون وحصروه ودرسوه انما ينطبق على

لغاتهم وتختلف اللغة العربية فيه فهى اللغة الوحيدة التى استمرت الآن خمسة عشر قرنا بينما لا تبلغ اعظم اللغـــات الحديثة وهى الفرنســية والانجليزية اكثر من ثلاثة قرون وان شكسبير يقــرأ الآن بالقاموس بينما لو جاء امرىء القيس من جاهليته وتكلم معنــا لفهمناه ولفهمنا . وتلك ميزة تجعلنا نحافظ على هذا الميراث الضخم وأن نتعلم اللغات فى سبيل حماية الاسلام والدفاع عنه والاستفادة من اللغات اساليب جديدة لدعم الفصحى لغة القرآن .

أما بالنسبة للترجمة فان الامر جد خطير ، فقد وقف المسلمون فى غيرة فائقة امام ترجمة اليونانيات والفارسيات والهنديات ولم يقبلوا منها الا ماكان له صلة بالعلوم ، ولما فتح باب الترجمة على ابوابه فى الفلسفات وخاصة فلسفة اليونان من علم الاصنام ودخلت تلك المفاهيم الشعوبية من وحدة الوجود والحلول وغيرها فتدوقف علماء المسلمين لذلك الوافد بالمرصاد وكشفوا زيفه ولم يقبلوه ، واقاموا مفهوم اهل السنة والجماعـــة وكتب ابن تيمية (منطق القرآن) فى مواجهة منطق ارسطو وكتب الامام الشافعى ارجانون العرب فى مواجهة ارجانون اليونان ووقف الامام ابن حنبل ثمانية عشر عاما يصد عن الفكر الاسلامى فكرة خلق القرآن .

أما فى العصر الحديث فقد فتح باب الترجمة تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبى على بلادنا حيث لم تكن ارادتنا حرة او مطلقة فى سبيل حماية امتنا وفكرنا من المترجمات المشوهة والاباحية المكشوفة والملحدة والضالة التى تواترت منذ ترجمة اصنام اليونان الى فلسفات الوجودية وفرويد ونيتشه وغيرهما ولكن حركة اليقظة الاسلامية واجهات هذا الوافد بكثير من الحزم والقوة وكشفت عن فساد هذه المفاهيم وهذه الشبهات وردوها ودحضوها وقدموا مفهوم الاسلام الأصيل فى هذه الفروع جميعا .

وقد قاوم الفكر الاسلامى شبهات التغريب والاستشراق والغزو

الثقافى فى مجال السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع ودحضوا مذهب دارون وكشفوا مؤمرات الفكر الوافد والفلسفة الغربية وكشفوا محاذير الترجمة والتراث والمؤامرة على الفصحى لغة القرآن واسقطوا نظرية فرويد ودارون وسارتر ونظرية الاجتماع والاخلاق لمدرسة العلوم الاجتماعية اليهودية الاصل .

وكشفوا عن حقائق الاسلام فى مفاهيم النفس والاخلاق والاجتماع ، ووضحوا الطريق الى الاصالة وكشفوا زيف مؤلفات الأدب الجاهلى والاسلام وأصول الحكم وغيرها من كتب أجنبية الفها مستشرقون يهود ثم صدرت باسماء كتاب متغربين أمثال طه حسين وعلى عبد الرازق .

وهكذا وضع الفكر الاسلامى للترجمة أصولا وقيما لابد أن تكون مرتبطة بأى كتاب يترجم تكشف عن موقف الفكر الاسلامى فيه وتبين عن عصره وارتباطه بفكره ونيته .

كذلك فان مسألة البعثات الاسلامية الى الغرب كانت من التحدى الخطير الذى يواجه شبابنا المسلم الذى يسافر غير مزود بالحماية الكافية التى تحفظه من الذوبان والاحتواء ، فلا بد ان يكون لشبابنا المسلم المسافر للعلم الى الغرب خلفية دينية وقومية فيجب ان كون مؤمنا بدينه ووطنه غيورا عليهما حريصا على الدفاع عنهما فى وجه حملات التشكيك التى توجه اليه أو الشبهات المثارة لخلق روح الاحتقار لوطنه وقيمه وتراثه ولغته فى نفسه أولا كوسيلة لاحتوائه ليعمل تابعا للغربيين وخادما لأهدافهم فى وطنه .

ولقد سافر كثيرون الى الغرب وهم يدركون خطر هذا الامتحان فاستطاعوا ان يتسلحوا بايمانهم وخلقهم من امثال عبد العزيز جاويش ويحى الدرديرى والدكتور محمد المبارك ومالك بن نبى وعادوا دون ان يحتويهم قرامطة الاستشراق اليهود المتسلطين واستطاعوا أن يتماسكوا أمام الاغراء بل إن الغرب يعمل اليوم

عملا آخر اشد خطورة من الاحتواء فانه يفرض على شبابنا المسلم مناهج اطروحاتهم ويفرض عليهم ، ليس الموضوعات المثيرة للشبهات فحسب والتى تتعلق بجوانب غامضة بحيث لا يستطيع الباحث ان يقدم اطروحته عن موضوعات اساسية ذات قيمة أو أن يقـــدم ما يشرف دينه ووطنه فانهم يفرضون عليهم النقــل والاستشهاد والتبعية لافكار المستشرق المشرف على رسالته ، بل ان هناك ماهو اخطر من هذا هو أن معظم المنح الدراسية المقدمة للشـــباب فى الجامعات وفى جامعة الأزهر هى مقدمـــة من دوائر الاستشراق والتبشير المتخفى وراء الثقافة والعلم فى الجامعات الغربية .

كذلك فان هناك عملا خطيرا آخر هو أنهم يرفضون الرسائل التى تشير الى عظمة الاسلام وقد رفضت رسالتان للدكتور ضياء الدين الريس والشيخ محمد المصرى السورى الأصل .

كذلك فان هناك بعض الكتب الموجودة فى المكتبات المعروفة فى ليدن وباريس وغيرها محرمة على المسلمين والشرقيين فلا يسمح لهم بالنظر فيها أو تقديمها لهم مع انها تراث اسلامى وذلك حتى لا يكشف الباحث المسلم مدى الآثار التى حصل عليها الباحثون الغربيون واعتبروها من اجتهادهم وانتاجهم مع انها مسروقة من التراث الاسلامى .

* * *

ان هناك دعوة ملحة الى أسلمة الأدب العربى وتحريره من التبعية للادب الغربى وادخاله مكانه الصحيح بوصفه عنصراً من عناصر الفكر الاسلامى مرتبطا بها مؤثرا ومتأثرا لا ينفك عنها . ومنذ وقت طويل تعالت أصوات دعاة حركة اليقظة الاسلامية التى تأصيل النقد الأدبى وتاريخ الأدب .

مهمة الأدب الاسلامى — كما يصورها الدكتور عمـــاد الدين خليل تقوم على :

اولا : تأصيل رؤية الاسلام للكون والحياة والعالم والانسان لا بمفاهيم تجريدية وأفكار صارمة ولكن بالصــــورة المشخصة والتجربة المعانة .

ثانيا : الالتزام الاخلاقى بمفهومه الواسع والاســتعلاء على الدنس والمغريات وتكوين النظرة الشمولية التى ترفض التجزئة والتى تقوم على التوحيد بين المعتقــــد والممارسة وبين النظرية والسلوك وإعلاء الأخلاقى على الجمالى وتنقية الحس الجمالى من الشوائب وتغطية الفراغ الواسع الذى تمنحه الحضارة المعاصرة بترفيه منضبط .

ثالثا : يقوم الاسلام على عنصرى تبريد العاطفة لا تسخينها والكساء لا العرى ، ولذلك فلا بد من تجاوز الرومانسية المريضة وادنة الهروب والانزواء أو الذوبان والاندماج .

رابعا : تغطية الفراغ الواسع الذى تمنحه الحضارة المعاصرة

بترفيه منضبط وتصعيد الطاقة الجنسية المكبوتة وحـل وتفكيك الخوف والاحساس بالنقص وفقدان الثقة وسائر العقد والازمات النفسية التى تجنح الى الحد الأدنى من التسوية المطلوبة ومجابهة القلق البشرى المدمر ومنح اليقين وتحقيق الاقتران الشرطى بين الفن والقيم وطرح بدائل مقنعة لمعطيات الفنون الوضعية فى ميدان القيم التربوية .

والحقيقة اننا مطالبون بوضع منهج اسلامى لنقد الأدب وتاريخه يكون مستمدا من المفهوم القرآنى الاسلامى القائم على ان الانسان ليس حيوانا وليس نصف اله ، وانما هو خلق كرمه الله تبارك وتعالى وعهد اليه بالأمانة والمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى من اجل السعى فى الأرض وتعميرها والكشف عن مذخورها وبناء المجتمع الربانى الاصيل الذى يلتمس فيه مرضاة الله تبارك وتعالى والخوف من حسابه وعقابه يوم البعث والنشور .

ذلك ان المنهج الذى تقوم عليه دراسات الأدب انما يعتمد على نظرية بورنتير وتين ، وهى نظرية مادية تقوم على أســـاس ان الانسان حيوان وان الحياة مادة ، أو مستمد من مفاهيم التحليل النفسى لفرويد وهى تعتبر ان الجنس هو مقوم الحياة او من مفاهيم الماركسية التى تقوم على أساس ان المعدة هى محرك التاريخ او من نظرية التفسير المادى للتاريخ الذى يرى ان الحياة مادة خالصة والتى لا تعترف بالروح والمعنويات .

ذلك ان مفهوم الاسلام يختلف عن ذلك ولايتقوقع داخـــل « الانشطارية » وانما يتمدد فى مفهوم جامع متكامل قوامـــه الروح والمادة والعقل والجسم ، والدنيا والآخرة .

***

الاسلام والمصطلحات المعاصرة :

هناك قاعدة اساسية : هى أن كلمات كل أمة ومصطلحاتها لا يمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية التى توحى اليها ، ومن هنا فان مصطلحات الغرب لا يمكن نقلها الى أفق الفكر الاسلامى كما تنقل الفاظ المخترعات والعلوم ، ان علينا ان نفهم مصطلحات كل فكر فى اطاره الخاص حتى لا تخضع نصوص القرآن ونصوص السنة الى مفاهيم وافدة تحمل من الكلمات ما يستعمل لغرض غير مفهومها الاول .

يقول الاستاذ حسن الشرقاوى : أن تطبيق المفاهيم الغربية وفرض مناهجها عسفا على الأمة الاسلامية فى مجال العلوم الانسانية عملية غزو فكرى يحمل فى طياته أضرارا مادية وخلقية بالغة الخطورة وتكمن خطورة العمل بالمصطلحات الغربية عن الاسلام وتطبيقها فى مجالات العلوم الانسانية فى توجيه الفكر توجيها بعيدا عن القيم التى تتبناها الأمة والمفاهيم التى تمثل ثقافتها ومثلها وأخلاقها ولا شك أن مفاهيم الغرب وفلسفاته تنبع من نظرة مادية وعلمانية تفصل بين العلم والدين وتستقى اصولها من موقف الحادى لا يعترف بالله تعالى ربا وخالقا وقد أصبح ترديد هذه المصطلحات بوعى أو بغير وعى امرا مألوفا لدى غالبية المتعلمين الأمر الذى يشكل آثارا ضارة تبدو فى عملية التأثير بالسلوك الاخلاقى الغربى ومن ثم فى اتباع أسلوبهم فى التفكير والمنهج والحياة .

ومن هنا ضرورة النظر الى هذه المفاهيم الغربية نظرة الفاحص اللبيب لا نظرة المقلد .

علينا أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته فى حجمها الطبيعى ونوزنها بميزان الاسلام العدل ونقيسها على محك الشريعة الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال ما لا يصلح منها بمصطلحات اسلامية اقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن أخلاقياتنا .

ولا ريب أن اخطــر ما يواجه المسلمين هو التبعية للمذاهب التقليدية الاجتماعية الحديثة التى تسود العالم اليوم والتى تخطاها الزمن والعلم .

ويكفى ما قاله قائد من قادة الغــرب فى كتابه الديمقراطيــة الفرنسية (ديشان) أن الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان وتتنكران للحقيقة الانسانية وانهما تنفلتان بسهولة من قبضــة البحث العلمى وان التحيز يغلب عليهما الى اليوم اكثر من العقل وانهما لم يعودا تمثلان الوقائع المحسوسة فى مجتمعاتنــا الا تمثيلا ضعيفا وانهما يتكيفان بصــعوبة لايجاد حلول لمشاكلنا الواقعية وان الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة والى البحث عن صيغة جديدة مقبولة .

ولما كان العالم الاســلامى مقبلا على بناء نفسه بناء جديدا مستمدا من الاســلام الذى يؤمن به ، يشمل تصــوره واسسه الفكرية ونظمه وتشريعاته مؤسساته ودوله وهو مدرك انه وقع خلال حقبة طويلة تحت تأثير الحضارة الغربية بفلسفاتها ومفاهيمها الاجتماعية ومذاهبها ونظمها وتشريعاتها الاقتصــادية والسياسية والتربوية تأثيرا يغلب عليه التقيــلد والانقياد والتبعية والأخــذ بسلبيات تلك الحضارة وايجابياتها بخيرها وشرها ، ولذلك فان الدين الاسلامى فى العلم اليوم ولدى جميع الشعوب الاسلاميــة منطلق من ايمانه هذا ، عازم على ارســاء نهضة وتأسيس كيانه وحضارته على أساس الاسلام وأنه مصمم على اعادة النظر فى جميع ما مر به من مراحل التأثير بالفكر الغربى والحضارة الغربية من جميع التيارات والمذاهب الفكرية من :

عقلانية ووضعية وواقعية ومادية وغيرها والاجتماعيـــة من وطنية اقليمية وقومية مغلقة مبغضة وغيرها .

وذلك فى سبيل الوصول الى أمرين :

اولا : تأكيد معنى الأمة الاسلامية المؤلفة من جميع المسلمين افراداً وشعوبا وعلى الرابطة الاسلامية بين افراد كل شـــعب وافراد جميع الشعوب الاسلامية مع اختلاف انتماءاتهم القومية .

ثانيا : اثبات الاصالة الاسلامية بالتوصل الى تصور صحيح لاسلام متحرر من المذاهب الوافدة واحصاء المصطلحات الاسلامية وتحديد المصطلحات التى توضع على أساس المفاهيم الاسلامية .

* * *

(٢٧)

الغـــزوة الصــــهيونية

كان من أخطر التحديات التى وجهها النفوذ الغربى الى المسلمين لتوخر امتلاكهم لارادتهم وتكوين مجتمعهم الاسلامى الاصيل ، تلك الغزوة الصهيونية التى مزقت وحدة العالم الاسلامى وفصلته الى قسمين وأقامت هذا العنصر الغريب فى اشد المواقع الحساسة فى قلب هذا المجتمع ، فى بيت المقدس على مرمى البصر من المركـز الاسلامى الأساس للاسلام (مكة والمدينة) على النحو الذى سبق به تآمر مخطط الحروب الصليبية التى كانت تطمع فى الاستيلاء على موقع نزول المسيحية وكنيسة القيامة .

وقد جاء هذا المخطط الجديد فى مؤامرة واسعة بدأت عندما أعلن المؤرخون بان الحضارة الغربية لابد ان تسقط وشيكا كمـا سقطت الحضارة الرومانية وتبين أن المسلمين هم وحدهم الذين يملكون اعظم منهج لقيام حضارة انسانية عالمية وعقدت الحناجر على تأخير هذه الغاية واتفقت كلمة المؤرخين والباحثين على تمزيق وحدة آسيا وافريقيا الاسلامية باقامة شعب عازل ليس من جنس هذه الأمة وكان أن ظهرت فكرة الصهيونية التى ادعت انها لهـا ميراث قديم فى هذه الارض وجرت المؤامرة الى غايتها حيث مكنت الدول الغربية شذاذ الامان من السيطرة على هذه المنطقة ١٩٤٨ ثم تم لهم ١٩٦٤ الاســتيلاء على القدس ، وقد أحدث ســيطرة اسرائيل على فلسطين تغييرا شديدا فى وجهة العالم الاسلامى كله

وخاصة الدول العربية وكان مصدرا لتكبد خسائر كبيرة وهجرة الملايين من سكان فلسطين واقامتهم كلاجئين فى البلاد المجاورة ، ثم كانت تلك الحروب التى لم تحقق شيئا هاما وبذلك تحولتبرامج البلاد العربية الى مواجهة فلسطين وانفاق مبالغ ضخمة فى التسلح ومنها سوى حرب رمضان التى اخرجت اسرائيل عن بضعة كيلو مترات عن صحراء سيناء مكنت من فتح قناة السويس فان العرب لم يستطيعوا ، تحقيق انتصار حقيقى ، بينما تضاعفت قوة اسرائيل حتى أصبحت تماثل قدرة اكبر من قوة البلاد العربة المجاورة لها ، هذا فضلا عما أحدثته هى والدول الغربية المؤيدة لها من اضطراب وتمزق بين الدول العربية ، فقد جرت المؤامرات للحيلولة دون قيام وحـــدة عربية أو اسلامية فى مواجهة اسرائيل ، مع ان الدول الاسلامية تمتلك فى مجموعها قوات حربية وعسكرية ضخمة ولكن تمزق هذا العالم بين ولاء لامريكا او روسيا كان بعيد الأثر فى عدم القدرة على خطوة لمقاومة هذا النفوذ الذى غـزا بلاد المسلمين وسيطر عليها واقام فيها .

وتجرى هذه القوى الثلاث : الصهيونية والغربية والروسية فى تنسيق بينها فى مواجهة الاسلام والعرب ، على عدم تمكين العرب والمسلمين من امتلاك ارادتهم وتجرى هذه المؤامرات على مخططات مختلفة ولكنها تجمع على العداء للاسلام والحيلولة بين المسلمين وبين اقامة مجتمعهم الاصيل ، وعلى ان يبقـوا تابعين خاضعين للنفـــوذ الاجنبى ، يتحركون فى أطار الايدلوجيات الماركسية أو الغربية ، ويجرى من اجل ذلك اخفات صوت الفكرة الاسلاميـة التى تعلن الى ان السبيل الوحيد الذى ينقذ العالم الاسلامى من الاستهتار والتمزق بعد هذه المراحل المتصلة من الاحتلال الغربى، والاســتقلال المربى ، والاحتلال الصهيونى وبعــد التحريين الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية لم تفلح — هذا السبيل هو التماس مفهوم الاسلام وتطبيق نظامه واقامة مجتمعه .

ولا ريب ان الاحتلال اليهودى لهذه المنطقة من قلب العــالم الاســلامى بعيد الأثر فى تعويق النهضــــة وتأخير امتلاك الارادة الحقيقية للمسلمين فقد طرحت هذه الدعوات الثلاث سموما شديدة الخطر فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وما تزال آثارها باقية بقء التابعين لهذا التغريب والموقدين لناره حينا بعد حين وقد جاءت ثروة النفط كمعادلة حقيقة ازاء السيطرة اليهودية ، وكمورد حقيقى للمسلمين لامتلاك السلاح القادر على احداث معركة فاصلة لاجلاء هذا النفوذ ولكن الخطط التى تجرى الان فى مقاومة النفوذ الصهيونى أو استعادة فلسطين انما تجرى على أسلوب الغرب نفسه ، وقد استطاع نفوذ الدول الغربية ان يحصر القضية بين العرب انفسهم ويحول دون جعلها قضية اسلامية أو قضية عقائدية فالعاملون فى حقـــل القضية يتحركون فى اطار الاســلوب الغربى نفســه ، لا يستطيعون الخروج عليه ، ولا يستطيعون أن يجعلوها معركة اسلامية اصيلة من حيث اعلان الجهاد المقدس لتحرير القــدس وفلسطين ، ويرجع هذا فى الاغلب الى عدم وجود عناصر تؤمن بالاسلوب الاسلامى فى حل المشاكل فى مكان القيادة ، وان القادة الذين يعملون الان يعتمدون الاسلوب الغربى السياسى فى حــل هذه القضية ، وهو أسلوب لن يستطيع أن يحقق نتاءج ذات بال.

بل أن الانفاق لعوائد للثروات الاسلامة لا يجرى على أسس سليمة وفيه أسراف كثير ، وان هناك مبالغ ضخمة تنفق على وجهات نظــر ذاتية خطيرة بينما لم تؤدى فيهــا زكاة الركاز التى هى حق للمسلمين جميعا وللدفاع عن مقدساتهم .

ولقد استنزفت هذه الغزوة فكرا ومالا ، واستطاع الغزاة ان يفسدوا المفهوم الاسلامى الأصيل فى مواجهة الغزو بعد أن سيطر المفهوم الاقليمى والقومى الوافد وكلاهما استطاعا حجب مفهــوم الخطيرة من وجهة نظره الضيقة دون ان يقدر أن الدائرة ســوف تدور على الأمة كلها ان لم تقف صفا واحدا ازاء الخطر ، بل لقد

ذهب البعض مذهبا خطيرا فى تحامى العدو و التعاون معــه أو الوحدة الاسلامية الاصيل الجامع فنظر كل اقليم الى هذه الازمة الاستخفاف بالخطر والامن من التحدى القائم ، والانطلاق فى حياة مترفة رضية دون النظر الى بعيد ، مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذرنا وطالب بان تكون هناك تعبئة عامة ورباط دائم وجند كثيف لأن التحدى الناتج من الخطر الزاحف على دين الاسلام وعالم الاسلام لم يتوقف ولن يتوقف .

* * *

لقد حققت حركة اليقظة الاسلامية خلال العقود الاخيرة من القرن الرابع عشر نتاجا وافرا حين كشفت عن كنوز الفكر الاسلامى والشريعة الاسلامية والتراث الاسلامى فى بيان العطاء الثر الذى افاضه الاسلام على العلوم والفكر والحضارة فى مواجهة تحديات الغرب الذى انكر فى اصرار وعنـــاد وتعصب عطاء الاسلام ، حتى جـــاء بعض المنصفين الذين اعترفوا بهذا الفضـــل واعترفوا بظلم الغرب لهذا العطاء وفى مقدمتهم سجريد هونكه وجارودى . فقد اعترف هؤلاء الابرار بان الاسلام وحده هو الذى اعطى الغرب والشعوب الاخرى التى دخلت الاسلام تلك الطفرة القوية ، وهذه الثقة وهذا التفجر العقلى الجبار . وقد تكشف بوضوح ان العرب وليس اليونان هم أساتذة اوربا فى النهضـــة العلمية الرياضية ، فأوربا عرفت تراث العالم القديم عن طريق العرب فقط فالعرب باعدادهم وآلاتهم وحسابهم وجبرهم ونظرياتهم حول المثلثات الكروية وعلوم البصريات وغيرها نهضوا بأوروبا ودفعوها الى الحركة العلمية دفعا من ثم استقلت واكتشفت واخترعت وتسلمت زمام العلوم الطبيعية وان الغرب امتص عصارة ما انتجه المسلمون طيلة قرون طويلة ولكن ماذا كان موقف الغرب من العالم الاسلامى بعد ذلك كله . كان موقفه موقف الحريص على ان لا يعود اهل السلام الى امتلاك ارادتهم او اقامة مجتمعهم او استئناف حضارتهم بعد أن توقفت عن العطاء . لقد عمد الغرب الى سد كل المنافذ فى وجه المسلمين حتى لا يصلواالى معطيات العلوم والتكنولوجيا ليظلوا هكذا سوقا للتصدير وموئلا لاستنزاف الخامات ، وعمدوا الىصرف الأمة الاسلامية عن وجهتها التى سارت فيها اكثر من ألف عـــام

واستهدفوا القضاء على خصائصها ومحو ماثرها ونحتير ماضيها وافساد حاضرها وربى النفوذ الأجنبى جيلا منهزما مفتونا بالغرب كاره لقومة وعقيدته ولغته . واليوم بعد أن قطعت حركة اليقظة الاسلامية مرحلة طويلة فى سبيل استعادة الأصــالة والعودة الى المنابع والتحرر من التبعية والوصول الى مرفأ الرشــد الفكرى الاسلامى نجد ا ن هناك تحديات تواجه المجتمع الاسلامى على طول أرض الاسلام اعتقد انها هى جوهر المهمة التى يحملها قادة الفكر الاسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر عليهم أن يفرغوا لها جهدهم ووقتهم وقريحتهم .

اولا : تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية التى يقوم العمل فيها على اساس القانون الوضعى والتى تطبق جزئيات من الشريعة الاسلامية .

ثانيا : بناء الاقتصاد الاسلامى بديلا للاقتصاد الوافد الذى يقوم على اساس قواعد امبراطورية الربا اليهودية صانعة نظــام الربا والفوائد .

ثالثا : بناء الشباب الجديد على اساس التربية الاسلاميــة الجامعة من الروح والمادة والعقل والجسم من اجل دعم الاسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الاسلامية وبناء روح الاخلاق والعقيــدة وسلامة السلوك الاجتماعى .

وعلينا ان نجرى حركة تصحيح واسعة :

أولا : تصحيح مفاهيم القومية والاقليمية والقومية والعودة الى مفهوم الوحدة الاسلامية .

ثانيا : تصحيح تفسيرات التاريخ : تفسير اقليمى ، تفســير عربى ، تفسير ماركسى ، والعودة الى التفسير الاسلامى للتاريخ .

ثالثا : التحرر من آثار القانون الوضعى والأنظمة السياسية الغربية .

رابعا : التحرر من آثار العلمانية فى التربية والتعليم والثقافة.

خامسا : التماس مفهوم الاسـلام فى قضية المـرأة والأسرة والأجيال الجديدة .

سادسا : تحرير وسائل الاعلام والثقافة والصحافة من التبعية للفكر الغربى واللغة العامية ، والاباحيات والجنس .

سابعا : القضاء على العلمانية التى تدعو الى الفصل بين الدين والدولة ، والمادية التى تدعو الى الفصل بين القيم العقلية والقيم الروحية .

* * *

هناك مجموعة من الحقائق يتم بها التصور الاسلامى للحضارة والمجتمع وينفرد بها وتميز عن التصور الغربى الوافد : هـذا التميز الذى تسعى اليه حركة اليقظة الاسلامية وتجعل منه فريضة قائمة فى هذا العصر الذى تختلط فيه القيم والمفاهيم وتحاول بعض الايدلوجيـات المـادية والاباحيـة ان تفرض نفسها على الفكر الاسلامى :

اولا : لكل حضارة طريقتها الخاصة فى التفكير وبالتالى اسلوب لقائها مع التراث خاصة ومع الآخرين بوجه عام ، كما ان لهـا تكنولوجيتها وثقافتها وبالتالى انسانها الذى يعكس مجموع هـذا فالانسان المسلم يفتقد ملامح تواجده فى الحضرة الحـديثة فنانا ومفكرا ومبدعا ، والحقيقة الواضحة ان الحضارة الغربية لم تتقدم من فراغ بل من القواعد الحضارية الاسلامية التى وضعها الاجداد ومن هنا فان اغلب العلوم الحديثة ومنها علم الفضاء الذى هو مدين بالفضل الى العلماء العرب الذى ادى ولعهم الشديد بالعلوم الكلية الى اكتشاف اخطر واهم الآراء العالمية وفوق سطح القمر اسماء ثمان عشر عالما مسلما (أبو الفداء ، ابن فرناس ، ابن يونس ، ابرهم العزازى ، المردى ، الفرغانى ابو الحسن الصـوفى ، أبو الريحان البيرونى ، القزوانى ، جابر بن حيان ، ابن بطوطة، عمر الخيام .

ثانيا : ان التحدى الرئيسى امام العالم الاسلامى فى هذا القرن هو مدى قدرته على الاسهام فى البناء السياسى والاقتصادى للعالم

الاسلامى ، ومن ذلك حاجة الدول الاسلامية الى امتلاك وسائل الدفاع الفعالة ، وضرورة وجود علم اسلامى ينسجم مع العقيدة والثقافة وروح الحضارة الاسلامية من جهة وتخدم القضايا الملحة للعالم الاسلامى (الغذاء والدفاع والتنمية) .

ثالثا : ان المعلومات الهامة الاساسية لصنع القرارات فى العالم الاسلامى تخزن الآن خارج أرضه وقلما يسمح للدول صاحبتها بالوصول الى تلك المعلومات ، فقد اخذت شركات المعلومات تجمع المعلومات عن العالم الاسلامى وتصنعها فى الدول الغربية .

رابعا : ضرورة تعريب التعليم الجامعى ، والانتقال من التعليم باللغة الأجنبية الى التعلم بالعربية مع المحافظة على تعلم واتقان لغة أجنبية أو أكثر من أجل العودة الى المراجع الأجنبية . والخطوة التالية للتعريب هى القيام بالابحاث العلمية الحقيقية المناسبة التى تساير تطور الركب العلمى والتى تعبر مساهمة حققية فى بناء حضارة هذه الأمة عندما تكتب هذه الأبحاث باللغة العربية .

خامسا : ان مفهومنا للاسلام هو انه دعوة الى اقامة المجتمع الربانى فى الارض نتعبد الله فى خلقه وفى العمل لبناء صرح الاسلام فى الدنيا واقامة الميزان بالحق ، ومهما اظلمت الدنيا وتباعدت عن الله فاننا لا نيأس فى ان نعود الى شريعة الله ولا نرضى بان نعتزل الناس لنعبد الله فان هذا اسلام ناقص ، أما الاسلام الحقيقى فهو مجاهدة هذا الواقع وكشف زيفه وموالاة الضرب على أيدى التغربيين والشعوبيين الذين لا يكون ولا ييأسون من اذاعة الباطل والذين يغيرون جلدهم فى كل مرة ليلقوا الينا نفس السموم القديمة فى اساليب جديدة آملين احتواء المسلمين والسيطرة عليهم واخراجهم من ذاتيتهم ، ووجودهم الحق لينصهروا فى الأممية العالمية ولذا كان الشعوبيون والتغربيون هم على الباطل لا ييأسوا فكيف ييأس أهل الحق ، وهم المؤيدون بروح الله وعونه ، وكيف ييأس المؤمنون من

روح الله والنصر قريب وهو قاب قوسين أو ادنى ما استمسكوا بكلمة الله وعملوا على أن تكون هى العليا متجردين من مطامع الدنيا وأهوائها ، ولا أمل لهم الا ان يهزوا هذه النفوس ويحركوا هذه القلوب بكلمة الحق حتى تلين القلوب وتستجيب لله رب العالمين ، فيقوم وجودها على الحق ، وتنصرف عن تلك الأهــواء المضلة والزخارف اللامعة وتفزع الى رضوان الله ، هذا وبالله التوفيق .

* * *

محتویات الکتاب

فهرس الكتاب

دار العلوم للطباعة

القاهرة: ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٥٣٧٦/٨٤

٩ — ٠٨٧ — ١٤٢ — ٩٧٧